مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أشهد أن سيدنا ونبينا ومعلمنا محمداً (ﷺ) عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلي آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين...آمين.

ثم أما بعد:

فإن التسول ظاهرة اجتماعية تسترعي انتباه المهتمين بمعالجة الآفات الاجتماعية كلٌ في ميدانه، لإيجاد حلول سريعة ناجعة، للقضاء عليها و إدخال هؤلاء المتسولين في حظيرة المجتمع بعدما استمرأوا التسول وجعلوه المورد الوحيد لرزقهم، دون رغبة في العمل والإنتاج، و إعادة تأهيلهم نفسياً وتربوياً، وتهيئتهم لحياة كريمة يبتعدون فيها عن مذموم الصفات التي تعودوها من أجل استدرار العطف و إخراج ما في أيدي الناس بسيف الحياء و المسكنة المصطنعة – لا يمكن بحال من الأحوال أن نلقي باللائمة علي هؤلاء وحدهم فقد يكونون ضحية لعدة عوامل تشترك فيما بينها لإخراج هذه الفئة لتطفوا علي السطح وتعطي انطباعاً عن المجتمع بأنه فقير متخلف...

• إن تعاليم الدين الإسلامي تعمل علي تجفيف منابع التسول، فأوجبت الزكاة كركن من أركانه وحددت مصارفها في القرآن الكريم، ورغبت في صدقة التطوع، وحثّت علي التكافل الاجتماعي، والتعاون علي البر والتقوى، ...فكان ترك سؤال الناس أمراً بالغ الأهمية في الدين الإسلامي، حتى في الأمور التي يتساهل فيها الناس جميعاً، فيربي الإسلام أتباعه علي الاعتماد علي النفس، واستغلال النعم والمواهب والملكات الممنوحة من الله تعالي للإنسان، والإخلال

بهذه التوجيهات يسهم في إيجاد أناس محتاجين لا يجدون حرجاً في إهدار كرامتهم و إنسانيتهم من أجل الحصول علي القوت اليومي...

• إنّ أكثر ما نعانيه هذه الأيام كثرة المتسولين الذين جعلوا التسول مهنة لهم يحصلون من خلالها علي المال الوفير... وبدون مبالغة قد تسير في شارع واحد فتجد في طرفه متسولاً وفي منتهاه متسولاً آخر...ولو أنك عرضت علي أحدهم أن يعمل مقابل عائد مالي مجزٍ لرفض... لماذا ؟؟!! لأنه يحصل علي هذا العرض في أسرع وقت و أقل مجهود!! ومع ذلك قد يمكث طيلة يومه متسولاً،

من هنا برزت أهمية هذا الموضوع وضرورة البحث فيه، مقترحاً له العنوان الآتي:

"مكافحة الإسلام لظاهرة التسول"

وكان من جملة الأسباب التي دعتني إلي تناوله ما يلي:

• استفحال ظاهرة التسول في المجتمع المصري، حتى طالت عناصر من الأصحاء القادرين علي الكسب، لكنهم فضلوا مكسباً سهلاً سريعاً وفيراً...

• التعرف علي بواعث هذه الظاهرة، ومحاولة معالجتها بمنهجية إسلامية.

• التعرض للمنهج الإسلامي في تجفيف منابع التسول.

• محاولة وضع حلول عملية لمكافحة التسول بما يتفق وروح الشريعة الإسلامية.

ومن ثمّ جاءت خطة البحث علي النحو التالي:

مقدمة وتشتمل علي:

• أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث،

التمهيد وقد حوي بياناً لمفردات عنوان البحث، وفيه:

• تعريف المكافحة، الإسلام، الظاهرة، التسول وما يتصل به من ألفاظ.

المبحث الأول: بواعث ظاهرة التسول:

- الفقر
- البطالة
- التفكك الأسري
- الأمية

المبحث الثاني: سمات و أساليب المتسولين

- السمات الشخصية للمتسولين.
- أساليب المتسولين.

المبحث الثالث: الإسلام وتجفيف منابع التسول

وفيه الحديث عن:

- بث الوعي بالقيمة الحقيقية للمال.
- بيان حقارة الدنيا وقيمة التنافس المشروع.
- تربية المسلم علي عزة النفس
- تعزيز الشعور بالقناعة والعفة.
- الترهيب من سؤال الناس بغير حاجة.

المبحث الرابع: طرق عملية لمكافحة التسول، وفيه:

- تشجيع هذه الفئة علي العمل والإنتاج.
- التكافل الاجتماعي و أثره في الحد من التسول
- تفعيل الدور الإيجابي للمؤسسات الخيرية.
- الخاتمة وبها نتائج البحث وتوصيات الباحث.
- ثبت بمصادر البحث.
- فهرس الموضوعات.

والله تعالي أسأل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

محمد أحمد محمد الدش
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

تمهيد

حري بي قبل البدء في هذه الدراسة أن أستهلها ببيان مفردات عنوانها، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: معنى المكافحة

جاء في أساس البلاغة (كفح، كافحه لاقاه مواجهة عن مفاجأة ولقيته كفاحا وكافحوهم في الحرب ضاربوهم تلقاء الوجوه وتكافحوا وتكافحت الكباش وكافح بعضها بعضا)([1]).

و جاء في المعجم الوسيط (" كفح" الشيء كفحا كشف عنه غطاءه وفلانا لقيه مواجهة وبالعصا ضربه ولجام الدابة جذبه لتقف ويقال كفحها باللجام، "كفح"عنه كفحا جبن "أكفح" فلانا عنه رده، ويقال كافح الأطباء الأمراض وكافحت الدولة البطالة والأمور باشرها بنفسه، "تكافح" المقاتلون تضاربوا وجها لوجه، والأمواج تلاطمت)([2]).

وجاء في لسان العرب (قال الأزهري: كفحته بالعصا والسيف إذا ضربته مواجهة، صحيح. وكفحته بالعصا إذا ضربته لا غير. و كفح عنه كفحا: جبن. و أكفحته عني أي رددته وجنبته عن الإقدام علي، و الكفيح: الكفؤ. و المكافح: المباشر بنفسه. وفلان يكافح الأمور إذا باشرها بنفسه)([3]).

---

(١) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ص ٥٤٦، ط / ١٩٧٩م، دار الفكر.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفي، و آخرون، ٢/ ٧٩١، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ)، ٢/ ٥٧٣، دار صادر – بيروت.

ومن ثمّ فإن كلمة "مكافحة" تعني من خلال مدلولاتها اللغوية، المواجهة الشخصية المباشرة للشيئ، ومحاولة صده في الإقبال باستخدام الآليات التي توصل إلي ذلك.

ثانياً: تعريف الإسلام

جاء في المعجم الوسيط ("سلم" من الآفات و نحوها سلاما و سلامة برئ و له كذا خلص فهو سالم و سليم، "أسلم" انقاد و أخلص الدين لله و دخل في دين الإسلام.. "سلم": انقاد و رضي بالحكم)([1]).

وجاء في القاموس المحيط (التسليم: الرضا والسلام. وأسلم: انقاد وصار مسلما كتسلم و العدو: خذله و أمره إلى الله تعالى: سلمه.)([2])

تعريف الإسلام اصطلاحاً:

إن ما نعنيه بتعريف الإسلام هو الدين بما حواه من أمور تحقق للإنسان سعادته في الدنيا والآخرة، وتضمن له عيشاً كريماً ومستقراً قويماً، وقد ورد ت في ذلك تعريفات كثيرة، منها:

ماذكره الشيخ محمد الغزالي بقوله: (برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين)[3]،

وما ذكره أد / أحمد غلوش بقوله:

---

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفي و آخرون، ١/ ٤٤٦.

(٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، ص ١٤٤٨، مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٣) مع الله، الشيخ محمد الغزالي، ص ١٧، ط١ / ١٩٨٩م، دار القلم – دمشق – بيروت.

١- الدعوة الإسلامية هى الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله(ﷺ) وحفظها في القرآن الكريم، وبيّنها في السنة النبوية.

٢- الدعوة الإسلامية هى النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة، ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد (ﷺ) من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على ذلك من ثواب وعقاب في الآخرة (١).

وبالتأمل نجد أن الإسلام قد أتي بكل ما يعمل علي مجابهة كافة الظواهر و الأمراض الاجتماعية، ومقاومتها والقضاء عليها، لو أحسن الناس تطبيق تعاليمه والعمل بأحكامه، انطلاقاً من آيتين كريمتين هما قوله تعالي: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾(٢) وقوله تعالي: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٣).

ثالثاً: تعريف الظاهرة

يقول ابن فارس:(" ظهر" الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز، من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهورا فهو ظاهر إذا انكشف وبرز، ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها، والأصل فيه كله ظهر الإنسان وهو خلاف بطنه وهو يجمع البروز والقوة، ويقال للركاب الظهر

(١) الدعوة الإسلامية – أصولها ووسائلها – د / أحمد أحمد غلوش، ص ١٣، ط٢ / ١٩٨٧م، دار الكتاب المصرى – القاهرة.

(٢) سورة الأنعام: ٣٨.

(٣) سورة النحل: ٤٤.

لأن الذي يحمل منها الشيء ظهورها، ويقال رجل مظهر أي شديد الظهر...، والظهور: الغلبة، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾، والظاهرة العين الجاحظة)([1]).

و جاء في أساس البلاغة: (وظهر عليه غلب، وأظهره الله، ونزلوا في ظهر من الأرض وظاهرة وهي المشرفة يقال أشرفت عليه اطلعت عليه والموضع مشرف ومشارف الأرض أعاليها، وظهر الجبل والسطح)([2]).

ومن خلال المدلول اللغوي يتضح أن "الظاهرة تعني، ظهور الشيئ وبروزه، وغلبته، واعتلائه حتى يصبح مرئياً للكافة..

وبتطبيق ذلك المدلول علي الظاهرة الاجتماعية نجد أنها تعبر عن حالة أو فعل يقوم به مجموعة من الأفراد، أو يتعرضون له بشكل أو بآخر، أو يعانون من نتائجه و آثاره لدرجة لا تخفي علي الكافة، وحين تأخذ الظاهرة شكلاً سلبياً فإنما تنبئ عن مشكلة اجتماعية توحي بوجود خلل يستوجب تضافر جهود المعنيين كلٌ في ميدانه لحلها والتصدي لها.

تعريف التسول

التسول في اللغة مأخوذ من مادة "سول" جاء في القاموس المحيط: (والسولة بالضم: المسألة لغة في المهموز. وسلت أسال بفتحهما سوالا بالضم والكسر: لغة في سألت)([3]).

وجاء في المعجم الوسيط: (تسول) سول و سأل و استعطى)([4])

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ، ٣/ ٤٧١، تحقيق عبد السلام محمد هارون، تاريخ الطبع ١٩٩٩م، دار الجيل – بيروت.

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري، ١/ ٤٠٥.

(٣) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، ص ١٣١٥.

(٤) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفي، و آخرون، ص ٤٦٥.

و جاء في تهذيب اللغة: (وأصلُ السُّؤال مهموزٌ غير أنَّ العرب استثقلوا ضَغْطَةَ الهمزة فيه فخفَّفوا الهمزَة قال الراعي في تخفيف همزِه: اخْتَرْتُكَ الناسَ إِذْ رَثَّت خَلائقُهمْ، واعتَلَّ من كان يُرجَى عنده السُّولُ، وقال الزّجّاج: يقال: سَأَلْتُ أسأَل وَسلْتُ أَسَلُ، والرَّجُلانِ يَتَساءَلان ويَتَسايَلان. وقال اللّيث: يقال: سَأَل يسألُ سُؤالاً ومَسألةً. قال: والعربُ قاطبةً تحذِف همزَ سَلْ فإذا وَصلتْ بالفاء والواو همزتْ كقولك: فاسأل، واسأل: وجمعُ المسألة مسائل، فإذا حذَفوا الهمزة قالوا: مَسَلَة، والفقيرُ يسمَّى سائلاً)([1]).

وجاء في المعجم الوجيز: (السائل: الفقير، "السؤال": طلب الصدقة، "السؤل": الطلب)([2])، وفيه أيضا: (تسول: سأل واستعطي)([3]).

وبذلك فإنه ثمة فرق بين السائل والمتسول، فالسائل مستحق والمتسول من اعتاد السؤال حتى دخل في التسول وهو سؤال الناس من غير حاجة.

وفيما يلي بيان بالمفردات ذات الصلة بالتسول

أولاً: التكفف

جاء في أساس البلاغة (استكف الناس وتكففهم مد إليهم كفه يسألهم)([4])

وجاء في مختار الصحاح: (و استكف و تكفف بمعنى وهو أن يمد كفه يسأل الناس يقال فلان يتكفف الناس)([5]) وقد حذرت السنة النبوية المطهرة من أن

---

(١) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، ١٣ / ٤٧، تحقيق محمد عوض مرعب، ٢٠٠١ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص٢٩٩، طبعة ١٩٩٤ م

(٣) المصدر السابق، ص ٣٣٠.

(٤) أساس البلاغة، الزمخشري، ص ٥٤٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٣٩.

يلجئ الإنسان بعض من يقوتهم إلي تكفف الناس، روي الإمام البخاري في صحيحه قول رسول الله (ﷺ) لسيدنا سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنهما): "إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ من أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ الناس"(١) و جاء في عمدة القاري ("يتكففون الناس" أي: يطلبون الصدقة من أكف الناس وقيل: يسألونهم بأكفهم)(٢)، والتكفف يشير إلي طريقة سؤال الناس والذي يأخذ شكل مد الأكف وبسطها أمام المنفقين والمتصدقين.

الاستجداء

جاء في القاموس المحيط (الجدا و الجدوى: المطر العام أو الذي لا يعرف أقصاه والعطية وهذان جدوان وجديان نادر. وجدا عليه يجدو وأجدى. والجادي: طالب الجدوى كالمجتدي. وجداه جدوا واجتداه: سأله حاجة)(٣).

وجاء في المصباح المنير:("جدا" فلان علينا "جدوا" و "جدا" وزان عصا إذا أفضل والاسم "الجدوى" و "جدوته" و "اجتديته" و "استجديته" سألته "فأجدى علي" إذا أعطاك و"أجدى" أيضا أصاب "الجدوى" وما "أجدى" فعله شيئا مستعار من الإعطاء إذا لم يكن فيه نفع و "أجدى" عليك الشيء كفاك)(٤).

وجاء في لسان العرب: (قوم جداة و مجتدون، وفلان قليل الجدا على قومه. ويقال: ما أصبت من فلان جدوى قط أي عطية، ورجل جاد: سائل عاف طالب

---

(١) صحيح البخاري، ١ /٤٣٥، كتاب الْجَنَائِزِ، بَاب رثى النبي (ﷺ) سَعْدَ بن خَوْلَةَ، رقم ١٢٣٣.

(٢) عمدة القاري للإمام العيني، ٨/ ٨٩.

(٣) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، ص ١٦٣٨.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (٧٧٠هـ)، ص ٩٣، ٩٤، المكتبة العلمية – بيروت.

للجدوى)([1])، وبذلك فإن الاستجداء يعني طلب العطية، ويدخل ذلك في باب التسول أيضاً.

الشحاذة

جاء في معجم مقاييس اللغة: ("شحذ" الشين والحاء والذال أصل واحد يدل على خفة وحدة، من ذلك شحذت الحديد إذا حددته، ويقال إن المشاحيذ رءوس الجبال وإنما سميت بذلك للحدة التي ذكرناها، ومن الخفة قولهم للجائع شحذان، ويقال إن الشحذان الخفيف في سعيه)([2]).

و جاء في أساس البلاغة: (ومن المجاز فلان يشحذ الناس يسألهم ملحا عليهم، وهو شحاذ ورأيته يتشحذ)([3]).

و جاء في المعجم الوسيط: (الشحاذ: السائل الملح)([4])، ومن ثمّ فإن الشحاذ يلحف في الطلب والسؤال، وهو نفس المعني الذي يعطيه التسول من حيث اعتياد المسألة وتكرارها من غير حاجة. التلمس:

يقول صاحب كتاب "العين": (اللمس طلب الشيء باليد من ههنا وهنا)([5]).

و جاء في لسان العرب: (الالتماس: الطلب. و التلمس: التطلب مرة بعد أخرى)([6]) مثلما يفعل المتسولون.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١٤ / ١٣٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٣/ ٢٥٠.

(٣) أساس البلاغة، الزمخشري، ص ٣٢٢.

(٤) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفي، و آخرون، ص ٤٧٤.

(٥) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، ٧/ ٢٦٨، تحقيق د مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال.

(٦) لسان العرب، ابن منظور، ٦/ ٢٠٩.

المبحث الأول

بواعث ظاهرة التسول

تشترك عدة أمور من شأنها أن تدفع بعض الأشخاص إلي احتراف التسول، واتخاذه مهنة لهم تدر عليهم عائداً سهلاً سريعاً، ويمكن توضيح بعض هذه الأمور فيما يلي

أولاً: الفقر

يعد الفقر من المشاكل الاجتماعية خطيرة الأبعاد علي الفرد والمجتمع، من حيث انتشار الجرائم بكافة أشكالها، ولهذا كان رسول الله (ﷺ) كثير التعوذ بالله من الفقر، روي الإمام البخاري في صحيحه من حديث السيدة عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّ النبي (ﷺ) كان يقول (اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)(١)، و ترتبط فتنة الفقر بالتسول ارتباطاً وثيقاً، فقد بيّن شرّاح الحديث أن المراد بالاستعاذة من فتنة الفقر: (حسد الأغنياء والطمع في مالهم والتذلل لهم بما يدنس العرض ويسلم الدين ويوجب عدم الرضا بما قسم)(٢)، وغالباً ما ينصب أثر الفقر علي الفقير ابتداءً، فإن (الفقر الذي ينتشر في عالمنا اليوم بشكل مخيف لا يقل في حدته عن أخطار أخري يواجهها العالم مثل أخطار انفجارات الأسلحة النووية، كما انه يشكل تحدياً أخلاقياً للإنسانية إذ بسببه تتزايد مظاهر العنف والذي يتزايد مع أعداد الفقراء في

(١) صحيح البخاري، ٥/ ٢٣٤١، كِتَاب الدَّعَوَاتِ، بَاب التَّعَوُّذِ من الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، رقم ٦٠٠٧.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، ٢/ ١٢٧. تاريخ النشر ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبري – مصر

العالم، ومع تزايد النمو غير المتساوي بين الدول وما يتسبب عنه من إحباطات اجتماعية واقتصادية يعاني منها مباشرة الفقراء في معظم الدول الفقيرة)([1]).

و يعد الفقر كذلك من أهم الأسباب الداعية إلي احتراف التسول عند بعض الناس، وهي مشكلة خطيرة تلجئ إلي كثير من الأمور المنافية للشرع، كارتكاب الجرائم بأنواعها، (ويعتبر من المشاكل المعقدة وذات التأثير المتعدد الجوانب الذي يصيب الفرد أو المجتمع، فنادراً ما يخلو مجتمع من هذه الظاهرة بسبب تعدد أشكالها، و أسلوبها مما يصعب معالجتها بالصورة المرضية ولصعوبة الاتفاق علي تعريف محدد لها بسبب اختلاف مستوي الوضع المعيشي لكل مجتمع عن الآخر، إلا أن التعريف الذي يكاد أن يكون مقبولاً من الجميع هو: "عجز الفرد أو الأسرة عن توفير الموارد الكافية لتلبية الاحتياجات الأساسية:)([2])، ولما كانت سنة الله تعالي أن يكون هناك غني وفقير، وقانع وسائل...حدد الإسلام طرقاً مشروعة ينال بها كل ذي حق حقه، فجعل للفقراء حقاً في مال الأغنياء، ليس فضلاً يعطونه إياهم، و إنما هو فرض واجب الأداء، ثم بعد ذلك يرغبهم في صدقة التطوع أيضاً لمستحقها، ينال بها الغني رفعة الدرجات و القرب من الله (ﷻ)، متى جاءت ابتغاء مرضاة الله (ﷻ)، خالية من المنّ والأذى والرياء والسمعة...وجعل للإنفاق حِكماً وفوائد جمة تعود علي المنفق والآخذ...فيتخلص به الغني من داء البخل والشح، ويتخلص بها السائل من داء الغل والحسد للغني،

(١) اقتصاد الفقر.. بؤس و أزمات، د زيد بن محمد الرماني، ص ٦، ٧ ط١ / ٢٠٠٣ م، مكتبة الرشد – السعودية.

(٢) التسول والانحراف عند الأطفال في العراق، قاسم عبود الدباغ ص ، وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، ٢٠٠٩ م

ثم يحدد القرآن الكريم مصارف الزكوات والصدقات في قوله تعالي: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾(١) يقول الإمام ابن العربي في أحكام القرآن: (هذه الآية من أمهات الآيات إن الله بحكمته البالغة وأحكامه الماضية العالية خص بعض الناس بالأموال دون البعض نعمة منه عليهم وجعل شكر ذلك منهم إخراج سهم يؤدونه إلى من لا مال له نيابة عنه (ﷻ) فيما ضمنه بفضله لهم في قوله: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾(٢)(٣).

وفي ثنايا البحث سنجد كيف عالج الإسلام قضية الفقر عند الحديث عن منهجه في علاج ظاهرة التسول باعتبارها أثر من آثار الفقر وتداعياته.

ثانياً: البطالة

هناك علاقة تلازمية بين البطالة والتسول، فقد تكون البطالة وعجز كثير من الناس عن إيجاد فرصة عمل شريف، دافعاً وباعثاً علي احتراف التسول، وربما يجد هؤلاء المتسولون فرصة المكسب السهل السريع، من خلال التسول عوضاً عن العمل الشاق، فتزداد ظاهرة البطالة في حجمها وانتشارها.. فيتحمل المجتمع

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٢) سورة هود، جزء من الآية: ٦.

(٣) أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (ت ٥٤٣هـ)، ٢/ ٥١٩، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر – لبنان.

عبء إصلاح هاتين الظاهرتين، بما لهما من تأثير علي الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

و من التأثيرات المباشرة للبطالة أن يكون رب الأسرة منقطعاً عن العمل أو أصابته فاقة أعجزته عن ممارسة مهنة معينة، وتسببت في قلة موارد الرزق الضرورية للأسرة، فيلجأ بعض أفرادها زوجة أو أطفالاً إلي العمل، فإن لم تجد عملاً شريفاً، لم تجد أمامها طريقاً أيسر لها إلا التسول، (حيث يفقد العائل شعوره بالقدرة علي تحمل المسئولية، وتفقد العائلة شعورها بالاطمئنان إلي مقدرة العائل والثقة به، ويواجه الجميع حالة من التوتر والقلق والخوف من الغد المجهول)(١).

غير أن الأمر الأكثر خطورة أن يختار رب الأسرة البطالة برغبته و إرادته، فيتقاعس عن أداء دوره الذي نيط به من الإنفاق علي أهله وعياله، ثم يعرضهم إلي احتراف التسول، فيرتكب إثماً عظيماً، روي الإمام مسلم في صحيحه من حديث خَيْثَمَةَ قال: "كنا جُلُوسًا مع عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو إِذْ جَاءَهُ قَهْرَمَانٌ له فَدَخَلَ فقال أَعْطَيْتَ الرَّقِيقَ قُوتَهُمْ قال لَا قال فَانْطَلِقْ فَأَعْطِهِمْ قال رسول اللَّهِ (ﷺ) كَفي بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ"(٢).

يقول المناوي في فيض القدير: (فعلى القادر السعي على عياله لئلا يضيعهم فمع الخوف على ضياعهم هو مضطر إلى الطلب لهم لكن لا يطلب لهم إلا قدر الكفاية لأن الدنيا بغيضة لله وسؤال أوساخ الناس قروح وخموش يوم القيامة)(٣)، بل ربما أجبرهم هو علي التسول، وفيه ضياع لهم أيضاً.

---

(١) دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية، د يوسف القرضاوي، ص ٩، ط١/ ٢٠٠١ م، دار الشروق – مصر.

(٢) صحيح مسلم، ٢/ ٦٩٢ كِتَاب الزَّكَاةِ، بَاب فَضْلِ النَّفَقَةِ على الْعِيَالِ... رقم ٩٩٦.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، ٤/ ٥٥٢.

ثالثاً: التفكك الأسري

التفكك الأسري أمر بالغ الأثر في انخراط بعض الأفراد في عالم التسول، فقد تجد أباً متسولاً، وأما متسولة و أبناء متسولين نتيجة التفكك الأسري، لكن الأبناء هم في طليعة من يتحملون تبعات هذا التفكك، ثم يليهم الأمهات اللاتي يصبحن لا عائل لهن ولا مورد رزق ينفقن منه علي أبنائهن، ولذلك كانت الأسرة هي محضن الطفل وموطن الرعاية الأول التي تقي الأطفال من احتراف التسول، فإن الأسرة (هي إحدى المؤسسات التربوية الهامة، بل هي المؤسسة الأولي التي تنطلق منها التربية، وتقع علي عاتقها مسؤلية تربية الفرد في أهم مراحل حياته، وغرس الفضائل والمثل العليا لديه، فلأسرة هي مقياس رقي الفرد والمجتمع، وفي دفء الأسرة ينعم الطفل برعاية الأب وعطف الأم مما يحقق له الحنان والاستقرار النفسي، ويبعده عن القسوة والمعاناة، وبالإضافة إلي ذلك فإنها تمثل الضمان الاجتماعي للفرد، صغيراً كان أو كبيراً، رجلاً أو امرأة، فإذا مرض أحد أفراد الأسرة غمره الجميع بالحب والحنان و الرعاية، و إذا عجز أحدهم التف حوله الجميع للتخفيف عنه، وتفريج كربه، وتقديم الخدمات له، وإذا أصاب فرداً من الأسرة فقر تكفل الجميع بالإنفاق عليه..)([1])

لكن الملاحظ أن ابتعاد الناس عن المنهج الذي رسمه الإسلام لإحداث الترابط الأسري أفرز كثيراً من المشكلات التي يعانيها الشباب في المجتمعات الشرقية والغربية علي حد سواء فإن تلك المجتمعات (التي ابتعدت عن الإسلام قد انحلت فيها رابطة الأسرة، وأصبحت مظاهر شكلية، وظهرت الآثار السيئة لهذا التفكك في عدد لا يستهان به من الشباب الذي تربى في الشوارع والطرقات والحانات،

(١) الدور التربوي للأسرة المسلمة في غرس الأمانة لدي أولادها، جيهان بنت محمد بن جمال مجلد، ص ٤١، ٤٢، جامعة أم القرى – السعودية عام ١٤٢٥ هـ.

وأماكن الفجور وأصبح عالة على المجتمع كل همه أن يحصل على المال ليصرفه على الخمور والمخدرات والقمار والعاهرات فهو لا يتورع عن القتل والسرقة والاغتصاب وهتك أستار البيوت وإثارة الفزع في القلوب ليحقق مآربه ومطامعه، فلم تستطع قوانين البشر أن توقف هذا السيل المدمر، ولم يتمكن علماء النفس والاجتماع أن يضعوا حداً لتفاقم هذا الخطر)([1]) ولكي يسدّ الإسلام الطريق أمام استغلال التفكك الأسري ذريعة لاحتراف التسول، دعا إلي ضرورة الترابط الأسري برعاية الحقوق والواجبات بين أعضائها، فكفل للزوجة حقوقاً يجب علي الزوج الوفاء بها، و أوجب علي الزوجة حقوقاً لزوجها تجب عليها الوفاء بها، و أوجب عليهما حقوقاً للأبناء تجب مراعاتها، كما لهما علي الأبناء أيضاً حقوق مصونة كفلها الإسلام للآباء، في ظل هذا الترابط والتلاحم قلما يشذ عن هذه المنظومة أحد أعضائها. ولقد اهتم الإسلام بإبراز دور الأسرة في تكوين النشء القادر علي تحمل المسئولية وتخطي مصاعب الحياة، والاعتماد علي النفس إذا فقدت الأسرة عائلها، إذ به يقوم بنفس الدور من السعي وكسب القوت...فإن للأسرة دور كبير في تربية الطفل وتعزيز ثقته بنفسه، واستغلال قدراته وتفعيل طاقاته، والقدرة علي الموازنة بين الأمور و الترجيح بينها، و إكسابه قيمة الإحساس بالمسؤلية، و أن يكون قادراً علي التكيف مع أوضاع ربما تكون جديدة عليه بشكل أو بآخر، فهناك أمور تقوم بها الأسرة من شأنها إحداث تكيف شخصي للطفل من بينها: (اعتماد الطفل علي نفسه: أي ميل الطفل إلي القيام بما يراه من عمل دون أن يطلب منه القيام به ودون الاستعانة بغيره وكذلك قدرته علي توجيه سلوكه دون أن يخضع في ذلك لأحد غيره، والطفل المعتمد علي نفسه

(١) منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، أنس أحمد كرزون، ص ٥٤، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٩٥م.

يكون عادة قادراً علي تحمل المسؤلية كما أنه يكون عادة علي قدر كبير من الثبات الانفعالي.

– **إحساس الطفل بقيمته:** أي شعوره بتقدير الآخرين له و بأنهم يرون أنه قادر علي النجاح، وشعوره بأنه قادر علي القيام بما يقوم به غيره من الناس وبأنه محبوب أو أنه مقبول عند الآخرين)([1])، لكن الإخلال بهذا المنهج يفرز للمجتمع أطفالاً لديها الاستعداد النفسي لاحتراف التسول، فالتفكك الأسري ليس فقط بانفصال الزوجين بالطلاق أو حتى الموت، فقد يكون بغياب الأدوار وانشغال كل فرد بخاصة نفسه، و إهمال تربية الأبناء ..لتكون النتيجة علي نحو ما ذكرت.

رابعاً: الأمية

تعتبر الأمية من الظواهر الاجتماعية التي تستدعي تكاتف جميع المؤسسات المعنية للقضاء عليها نظراً لما تخلفه من آثار علي الفرد والمجتمع، و الأمية التي يعرفها الناس تعبر عن عدم الحصول علي القدر الكافي من مبادئ القراءة والكتابة و الحساب، وهي بمفهومها الشامل الواسع تعني عجز الأفراد عن توظيف مهاراتهم في القراءة والكتابة مع نظام الحضارة المعاصر، مثلما نسمع عن أمية الحاسب الآلي في وقت نري العالم يعتمد فيه اعتماداً شبه كلي في كافة المجالات والميادين، وكذلك الأمية الدينية التي تعني جهل الفرد بأمور دينه، جهلاً يتخلف به عن مواكبة تطور الحياة وفق المعايير والضوابط الإسلامية، وغير ذلك كثير من أنواع الأمية،

وإذا كانت الأمية الهجائية أو الأبجدية، تعد باعثاً أصيلاً علي التسول عند الكثيرين إلا من رحم الله، فإنه – للأسف – تطور التسول ليشمل شريحة من

(١) الحرمان من الأسرة و أثره علي التحصيل الدراسي والتكيف الشخصي والاجتماعي، حسين محمد خلف المصري، ص ٣٠.

المتعلمين، أو علي الأقل ممن يجيدون القراءة والكتابة، استخدموا بعض ذكائهم و إعمال قريحتهم في اختلاق الحيل والأكاذيب من أجل التسول. و تتضح العلاقة بين الأمية الهجائية والتسول من خلال بيان آثارها في المجتمع؛

– الأمية تجعل الفرد انعزالياً صعب التعايش مع المجتمع والتكيف مع شرائحه و أفراده لعجز عقليته عن مسايرة غيره من المتعلمين، حينها يشعر بنوع من الدونية وعدم الثقة في النفس، والدخول إلي عالم الانحراف السلوكي.

– الأمية كذلك تقود إلي الفقر والبطالة – وهما بدورهما يقودان إلي التسول – من حيث عدم القدرة علي استغلال الموارد البيئية والاستفادة من التسخير الكوني وبالتالي تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية..

– تقود إلي محدودية معرفة الإنسان بدينه الذي يرفض أكل أموال الناس بالباطل والذي يرغب في الأكل من عمل اليد، و أنه لا يجوز للإنسان أن يسأل الناس شيئاً فوق حاجته،

المبحث الثاني
سمات وأساليب المتسولين

أولاً: السمات الشخصية للمتسولين

يتسم المتسول في شخصيته بعدة سمات تميزه عن غيره من الأسوياء، ويعتبرها هؤلاء المتسولون ضمن مؤهلاتهم التي تدفعهم إلي تكثير أموالهم، واستدرار عطف الناس و إخراج ما في جيوبهم، و إن من أبرز السمات الشخصية للمتسول ما يلي:

- **الطمع والرغبة في تكثير الأموال**

كثيراً ما يطمع المتسول في جمع المال عن طريق احتراف التسول، مهما كلفه ذلك من بذل ماء الوجه و إهدار الكرامة، وامتهان نفسه، وقد نهت تعاليم الإسلام ابتداء عن الطمع لأنه يميل بصاحبه إلي الانشغال الدائم بالمال، والتطلع إلي تحصيله والاستكثار منه، و الطمع يؤدي إلي ضعف ثقة الإنسان بربه، وسوء الظن به، وهو مذلة للنفس، و مفقرٌ علي الدوام، وممحق للبركة، ثم يعود علي صاحبه بالخسران في الدنيا والآخرة.

- **التواكل – الاتكالية –**

فإن المتسول يجعل همّ رزقه علي غيره، ولا يأخذ بالأسباب المشروعة في تحصيله، وقد ذمّ الإسلام من ينقطع للعبادة طيلة يومه ولا يسعي علي تحصيل قوته، فما بال هؤلاء ينقطعون في الشوارع والأزقة، لاستدرار عطف الناس، و دغدغة مشاعرهم فيأكلون أموال الناس بالباطل ؟!! وثمة فرق بين التوكل والتواكل، فالتوكل يعني الاعتماد علي الله تعالي و الأخذ بالأسباب، مع عدم تعلق القلب بها بل بخالقها المسبب لها، أما التواكل فهو الاعتماد علي الغير، وترك السعي والضرب في الأرض...و إهمال الأخذ بالأسباب...،

لذلك لم يرض الإسلام أن يتواكل أتباعه فيعتمدون علي غيرهم في طعامهم وشرابهم، حتى ولو كان انشغالهم عن ذلك من أجل الانقطاع للعبادة، فلم يقبل منهم الانعزال والانفراد بقصد التبتل والعبادة، ولم يقبل منهم أن يسلكوا هذا

الطريق كوسيلة للطاعة الجادة والبعد عن العالم، و إنما طالبهم بالعمل واحتراف المهن صوناً لكرامتهم واحتراماً لإنسانيتهم.

- **الكذب والاحتيال**

الكذب من أعظم الذنوب، و أظهر خصال المنافقين، و من اعتاد الكذب كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، روي الإمام البخاري في صحيحه من حديث عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو أَنَّ النبي (ﷺ) قال "أَرْبَعٌ من كُنَّ فيه كان مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كانت فيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانت فيه خَصْلَةٌ من النِّفَاقِ حتى يَدَعَهَا إذا أؤتمن خَانَ وإذا حَدَّثَ كَذَبَ وإذا عَاهَدَ غَدَرَ وإذا خَاصَمَ فَجَرَ"(١)،

وأعظم الكذب هو الكذب علي الله ورسوله، بتحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، إذ يقول تعالي: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾(٢)

وبالكذب يخبر المتسول عن نفسه أخباراً مخالفة لواقعه، فيدّعي الفقر وسوء المعيشة، وهو في واقعه أحسن حالاً وأفضل عيشاً مما يخبر به، فيخلق روايات وأكاذيب بقصد خداع الناس، وهو إذ يكرر عبارته الكاذبة الخادعة فإنه يكذب ويتحري الكذب حتي يكتب عند الله كذاباً..

هؤلاء المتسولون الذين لا تجوز لهم المسألة تفننوا في خلق العبارات والحكايات التي تلهب مشاعر الناس، كذبا وادعاء، وقد توعد الله تعالي أمثال هؤلاء بصنف من العذاب يوم القيامة، روي الإمام البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب أن رسول الله (ﷺ) قال في حديث الرؤيا الطويل: "أَتَيْنَا

(١) صحيح البخاري، البخاري ١/ ٢١، كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، رقم ٣٤.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

على رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وإذا آخَرُ قَائِمٌ عليه بِكَلُّوبٍ من حَدِيدٍ وإذا هو يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إلى قَفَاهُ وَمَنْخِرَهُ إلى قَفَاهُ وَعَيْنَهُ إلى قَفَاهُ قال وَرُبَّمَا قال أبو رَجَاءٍ فَيَشُقُّ قال ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إلى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ ما فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ فما يَفْرُغُ من ذلك الْجَانِبِ حتى يَصِحَّ ذلك الْجَانِبُ كما كان ثُمَّ يَعُودُ عليه فَيَفْعَلُ مِثْلَ ما فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى قال قلت سُبْحَانَ اللَّهِ ما هَذَانِ.... أَمَّا الرَّجُلُ الذي أَتَيْتَ عليه يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إلى قَفَاهُ وَمَنْخِرُهُ إلى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إلى قَفَاهُ فإنه الرَّجُلُ يَغْدُو من بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ"(١) وفيه دليل علي أن من عصي الله في الدنيا أنزل الله عقابه علي أعضائه التي عصاه بها، يقول الإمام ابن حجر (قال بن العربي شرشرة شدق الكاذب إنزال العقوبة بمحل المعصية وعلى هذا تجري العقوبة في الآخرة بخلاف الدنيا)(٢)، ومع ذلك تعود المتسولون الكذب في غدوهم ورواحهم !!

(١) صحيح البخاري، ٦/ ٢٥٨٣ – ٢٥٨٥، كِتَاب التَّعْبِيرِ، بَاب تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، رقم ٦٦٤٠.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، ١٢/ ٤٤٢، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت.

- **كثرة التملق والإلحاف**

فإن المتسول الملحف: هو الذي يستخرج المال من الناس بكثرة تلطفه و إلحاحه في الطلب، ومنه كثرة الدعاء للمنفقين، وربما تقبيل الأيدي، وكثرة التردد علي منزله لدرجة توقع المنفقين في حرج شديد،

- **بلادة الحس،**

إنّ المتسول الذي اعتاد المسألة وهو في غني عنها، لا يبالي أن تهدر كرامته، ويهين نفسه في سبيل الحصول علي قدر وفير من المال، فيسير في الطرقات، ويطرق الأبواب، ويعرّض نفسه لازدراء الأعين ولا يبالي، و يتسم ببلادة الحس حين يُمنع ثم لا يغضب ثم يكرر سؤاله الناس مرات ومرات..!! وهذا مخالف لما عليه المؤمن الحق الذي يأبي أن تمتهن كرامته، ولو أن كل متسول لم تهن عليه نفسه وغضب ولو لمرة واحدة إذا منعه الناس ولم ينهروه..لابتعد عن هذا الطريق بكل ما أوتي من قوة، فالتسول يربي في صاحبه تبلد الحس وبرود العاطفة وإراقة ماء الوجه أعاذنا الله تعالي.

ثانياً: أساليب المتسولين

تنوعت أساليب التسول تنوعاً كبيراً يبرز المهارة المزعومة التي يتبناها المتسولون لجمع المال وتكثيره، فقد اعتاد كثير من المتسولين قديماً وحديثاً الجلوس علي نواصي الطرقات أو في المواصلات سؤال الناس بعبارات وجمل من شأنها ترقيق القلوب...فيسرد لك آلامه ومنغصات حياته وكدر عيشه... فيدّعي مثلاً أن أمواله سرقت أو فقدت فانقطع به الطريق ولا يجد أجرة العودة إلي بلده...أو أن له ولداً يعالج من مرض خطير ولا يجد نفقة العلاج، ويحمل معه شهادات مرضية قد تكون صحيحة أو مزورة، ويستخدم لذلك مكبرات الصوت ليسمع القاصي والداني ويخرج الناس من بيوتهم...إلي غير ذلك من أساليب،

(وقد تطورت هذه الظاهرة من شكلها الفردي الظاهر، المتمثل في طلب المساعدة المادية سواء من المارة أو من المحال العمومية إلي أن أصبح التسول مقنعاً يخفي وراءه أشياء أخري غير استجداء المال في شكله المعلن، مثل تقديم السلع التافهة بالقرب من إشارات المرور أو مسح زجاج السيارات، وغيرها من الخدمات البسيطة، حيث يرافق تقديم هذه الخدمات إلحاحاً شديداً في عرضها أشبه ما يكون بالتسول، ومع ذلك لم يبق التسول في أبسط صوره، بل تطور إلي أن اتخذ شكلاً تنظيمياً علي هيئة عصابات لتنظيم هذه الحرفة، بحيث يتجاوز عملها النطاق المحلي ليمتد إلي النطاق الدولي عبر شركات متخصصة في استجلاب بعض الأطفال المعاقين أو ذوي التشوهات لاستدرار عطف العامة.)([1])، وهذا التطور ينسحب علي المتسولين بشكل عام داخل القطر وخارجه !!

ويمكن إبراز بعض هذه الأساليب بشيئ من التفصيل فيما يلي:

- **طرق أبواب ومنازل أهل الخير.**

يعتمد كثير من المتسولين هذه الطريقة في القرية والمدينة يذهبون إلي من سمتهم العطاء وشيمتهم الكرم يعرضون عليهم مسألتهم، واشتداد فقرهم، يخاطبون شغاف قلوبهم بعبارات مؤثرة .. وهذه الطريقة ليست مستحدثة ولكنها قديمة استفاد منها المتسولون في كل عصر ومصر،

ولننظر إلي المرأة التي جاءت تستجدي عبد الله بن أبي بكرة لنري وجه الاتفاق والافتراق بين ما جاء في مسألتها وما يفعله المتسولون هذه الأيام...(دخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكرة بالبصرة فوقفت بين السماطين فقالت: أصلح الله الأمير وأمتنع به حدرتنا إليك سنة اشتد بلاؤها وانكشف غطاؤها أقود صبية صغارا وآخرين كبارا في بلدة شاسعة تخفضنا خافضة وترفعنا رافعة

(١) جغرافية تسول النساء والأطفال بمدينة مكة المكرمة، فاطمة موسي مطاعن، ص ٣١.

لملمات من الدهر برين عظمى وأذهبن لحمي وتركنني والهة أدور بالحضيض وقد ضاق بي البلد العريض فسألت في أحياء العرب من الكاملة فضائله المعطي سائله المكفي نائله فدللت عليك أصلحك الله تعالى وأنا امرأة من هوازن قد مات الوالد وغاب الرافد وأنت بعد الله غياثي ومنتهى أملي فافعل بي إحدى ثلاث خصال إما أن تردني إلى بلدي أو تحسن صفدي أو تقيم أودي فقال بل أجمعهن لك فلم يزل يجرى عليها كما يجرى على عياله حتى ماتت)(١).

الملاحظ من هذا الموقف أن المرأة حاولت جهدها إبراز سؤلها في صورة يبدوا الصدق في ملامحها، تعرض من خلالها فاقتها، وما أصابها من حادثات الدهر وعاديات الزمن، فرقّ لها عبد الله بن أبي بكرة فأنفق عليها حتى ماتت !! ويتفق المتسولون في هذا العصر باتخاذ طرق الأبواب أسلوباً في التسول، لكنهم لا يكتفون بطرق باب واحد كالأعرابية السائلة – وليست المتسولة –، فيطرقون أبواب عدة سواء أعطوا أو منعوا مع تطور العبارات التي يرددونها في التسول تبعاً للزمان والمكان !!

- **التنكر في ملابس باليه وهيئة رثة**

اعتاد كثير من المتسولين ارتداء ملابس بالية، والمبالغة في رثاثة الهيئة للتأثير في نفوس الناس، ولو أنك أعطيت أحدهم جديد ثياب إذا قبلها منك ففي الغالب لا يرتديها لأنها في يقينه تأتي برد فعل عكسي...!!

- **استخدام ذوي الأعذار**

(١) ذيل جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، ٣/ ٢٦٢، المكتبة العلمية، بيروت.

يتنوع أصحاب الأعذار الذين يمكن استغلالهم في التسول أو ينجرفون في هذا الطريق طوعاً أو كرهاً إلي أصناف عدة، فمنهم العميان، البكم، المعتوهون، مبتوري الأعضاء، وذوي العيوب الكلامية، الأمراض المزمنة..وغيرهم كثير...

و هناك ثمة علاقة بين الإعاقة والتسول، ففي الوقت التي تخلق فيه الإعاقة عن بعض الناس نوعاً من التحدي والإرادة الصلبة وقوة العزيمة، وقد وجدنا نماذج تفوق الحصر لأمثال هؤلاء، إلا أننا نجد أيضاً من استغل إعاقته في احتراف التسول واتخاذها أسلوباً في استدرار عطف الناس وتحريك عواطفهم بالشفقة نحوهم، ومن الحقائق الثابتة أن الإسلام في نظرته للناس لم يفرق بينهم تبعاً للون أو الجنس أو البنية الجسمية، ولذلك كان معيار التفاضل بين الناس، هو التقوى، قال الله تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾(١) ولما كانت هذه الفئة جزءاً أصيلا من المجتمع المسلم، كان لهم من الحقوق ما يتمتع به الأصحاء وعليهم ما علي غيرهم من الواجبات، ما خلا الأشياء التي لا يستطيع فعلها حسب نوع إعاقته، وهنا يأتي تيسير الإسلام ورحمته بهؤلاء، فيقول الله تعالي: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٧ ﴾(٢) وبدلاً من أن تترك هذه الفئة فريسة للمتسولين يستخدمونهم في ممارسة نشاط التسول واستدرار عطف الناس عن طري إعاقتهم، كان لا بد من العمل علي دمجهم و إدخالهم حظيرة

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٧.

المجتمع، و أن يفسح لهم المجال للتمتع بحقوقهم والقيام بواجباتهم، ولا ريب في أن الإسلام كان له قدم السبق في هذا التوجيه الذي سبق به كل العهود والمواثيق الدولية التي تعني برعاية هذه الفئة من البشر، فكفل لهم حقوقاً كثيرة من أهمها:

- **عدم السخرية والاستهزاء**

فإن ذلك يحزنه ويشعر بالنقص والدونية، ومن ثمّ تخلق فيه حالة من التمرد علي المجتمع، فينتهي به الأمر إلي الانحراف أيا كانت مظاهره و أشكاله، ويأتي هذا التوجيه في قوله تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾(١)، وقد ثبت أنه (من الأسباب الرئيسة إلي انعزال المعاق عن المجتمع شعوره بأن إعاقته مصدر استهزاء وسخرية من الآخرين، فيبتعد عن المجتمع، وينزوي بإعاقته حتى لا تكون مصدر أذي و ألم نفسي له، أما إذا وجد اللطف من أفراد المجتمع، وعدم النظر إلي إعاقته بأنها عيب أو نقص يقبل علي الاندماج في المجتمع والتكيف والتآلف مع أفراده)(٢)

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) رعاية و تأهيل المعاقين سمعياً في ضوء التربية الإسلامية، عبدالله بي فصيل الرحيلي، ص ٣٨، جامعة أم القرى، عام ١٤٢٤هـ.

ومن هذه الحقوق أيضاً:

• العمل علي تربيته وتعليمه، والتعرض لبعض ما يتمتع به من مواهب وقدرات، واستغلالها ليكون عضواً نافعاً في مجتمعه، وكثيراً رأينا نماذج مشرفة من ذوي الاحتياجات الخاصة في اجتيازهم مواقف بطولية علمياً ورياضياً، فهذا أفضل بكثير من تعريضهم للتسول والمتسولين.

و يجب ألا تكون إعاقة هؤلاء سبباً في حرمانهم من حصولهم علي حقهم في التعليم والتوجيه، ولنا في قصة سيدنا عبد الله بن أم مكتوم الدرس الذي يظل يعلم البشرية كلها أن الإسلام أول من أولي هذه الفئة بالرعاية والاهتمام، فيقول الله تعالي: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ ﴾(١) يقول الإمام الآلوسي: (وفي ذكر الأعمى نحو من ذلك لأنه وصف يناسب الإقبال عليه والتعطف وفيه أيضا دفع إيهام الإختصاص بالأعمى المعين وإيماء إلى أن كل ضعيف يستحق الإقبال من مثله)(٢)، ومن هنا فلا تفرقة بين الأصحاء و أصحاب الأعذار في تعليمهم وتوجيههم و إرشادهم، يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: (أمر الله تعالى رسوله (ﷺ) أن لا يخص بالإنذار أحدا بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والضعيف والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

(١) سورة عبس، الآيات: ١-٤.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ، ٣٠ / ٣٩، ٤٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة)([1])، ولكنه مع هذه العناية بهذه الفئة إلا أن البعض منهم ممن احترفوا التسول، قد ظن أن ما به من إعاقة نعمة لا نقمة، لأنها بالنسبة لدية جواز مرور إلي عالم التسول، بل ربما ألحقوا العجز بأبدانهم عن عمد، كما سيأتي بيانه.

- **مساعدتهم وإعانتهم**

لقد أوْلي الإسلام هؤلاء رعاية خاصة تكفل لهم حياة كريمة، وتحميهم من أخطار التسول، وما انتشر هؤلاء في المجتمع وزاد عددهم إلا بقصور المسلمين في تطبيق منهج الإسلام في التعامل معهم، وهي حقوق رغب المسلمين في أدائها عن طريق مخاطبة وجدانهم واستثارة عواطفهم، وتحقيقاً لما تقتضيه الأخوة الإيمانية، وتصديقاً للجوانب الإنسانية التي تتطلبها المحبة الأخوية، روي الشيخان – اللفظ للبخاري – من حديث سيدنا أَنَسٍ عن النبي (ﷺ) قال "لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"([2]).

ولا يحسب الإنسان أنه إذا أحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه أنه ينقصه شيئاً، حيث قيل: (لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام مثل ما يحب لنفسه والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا تنقص النعمة على أخيه شيئا من النعمة عليه وذلك سهل على القلب السليم وإنما يعسر على القلب الدغل)([3]).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ)، ٤/ ٤٧١، ط / ١٤٠١ هـ، دار الفكر، بيروت.

(٢) صحيح البخاري، ١/ ١١، كِتَاب الْإِيمَانِ، من الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، رقم ١٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/ ١٧.

ثم يربي الإسلام اتباعه صدق النية وإخلاص في العمل، أنهم بمساعدة إخوانهم، و إغنائهم عن ذلّ السؤال، إنما يفعلون ذلك انطلاقاً من إيمانهم بالله (ﷻ) الذي عمرت به قلوبهم واستنارت به أفئدتهم، فأخلصوا..ابتغاء وجه الله لا يريدون جزاء ولا شكورا، يقول الله تعالي: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾(١)، فوقاهم الله جهنم وحرّها و أسكنهم الجنة ونعيمها.

- **بتر بعض الأعضاء بغرض استدرار العطف**

من خلال استقراء الواقع قد نجد كثيراً من هؤلاء المتسولين قد تعمدوا إلحاق الضرر بأنفسهم، وصنعوا بأنفسهم العوق، حتى ينجحوا في استدرار عطف الناس، فبدلاً من أن يكون عضواً يستطيع الاعتماد علي نفسه إذ به يضع نفسه في دائرة ذوي الاحتياجات الخاصة التي قد تتعرض في بعض الأحيان إلي التهميش وسوء الرعاية

- **استخدام الأطفال في تسهيل التسول**

يمثل الأطفال شريحة كبيرة من المتسولين الذي يجوبون الأحياء والشوارع، من الذكور والإناث، هؤلاء أكثرهم من الأيتام واللقطاء وضحايا التفكك الأسري، قد يحترفون التسول من تلقاء أنفسهم بحثاً عن القوت الضروري، وبعضهم قد يكون مدفوعاً من قبل عتاة التسول المنظم، وقد اعتاد هؤلاء الأطفال التسول عن طريق بيع الأشياء التافهة في الطرق العامة ووسائل المواصلات، ومسح زجاج السيارات، وبيع المطويات الورقية...إلخ

(١) سورة الإنسان، الآيات: ٨-١٠.

- **إدعاء الأمراض والعجز**

ادعاء المرض والعجز حيلة يلجأ إليها بعض الأشخاص من اجل الحصول علي شيئ ما، وقد يكون محاولة لكسب عطف الآخرين واهتمامهم، ولفت انتباههم نحوه، أو محاولة للحصول علي المال بطريق أو بآخر، أو الحصول علي تخفيف لأعباء العمل أو التقليل من نوعيته، أو عدد ساعاته مع الرغبة في الحصول علي الأجر كاملاً، وهو حيلة أيضاً يستخدمها المتسولون في هذه الأيام بأن يدعي من المرض والعجز ما ليس فيه، ويستعين علي ذلك ببعض الأمور التي توهم الناس بصدقه، و أنّ به عجزاً حقيقياً أقعده عن العمل وكسب القوت و أنه مستحق لإحسانهم وعطاياهم.!!.

- **إستغلال روحانيات الزمان والمكان**

إن تخير الأماكن المناسبة وتحين الظروف الملائمة يهيئ للمتسولين مناخاً كافياً لاستجداء المال والتكثير منه، اعتماداً علي روحانيات الزمان والمكان وتأثر الناس بهذه الأجواء، وهذه الفكرة ليست محصورة علي بلد معين و إنما فكر المتسولين وتطور أساليبهم يكون في الغالب متقارباً علي مستوي العالم، ولنأخذ علي سبيل المثال ما يحدث من هؤلاء في المملكة العربية السعودية، إذ يكثر المتسولون في منطقة الحرمين الشريفين، وبخاصة أثناء موسم الحج، لكونهما من أكثر المناطق جذباً للمتسولين الذين اتخذوا التسول حرفة يمارسونها طوال العام، فيكثر المتسولون في المناسبات الدينية، كذكري المولد النبوي، وشهر رمضان، والعيدين ويوم الجمعة..وهكذا، ثم يتخيرون أفضل الأماكن التي يتواجد فيها المحسنون، وأهمها: المساجد،

وهي بيوت الله في الأرض جعلت لعبادته وذكره (ﷻ)، وقراءة القرآن الكريم ولم تجعل لغير ذلك من أمور لا تليق بحرمتها ن قال الله تعالي، ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ

﴿ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾(١) ولا تخفي أهمية المسجد في الإسلام في الدعوة إلي الله تعالي و إرشاد الناس إليه وتعليمهم أمور دينهم...لكن للأسف وجدنا من المسلمين من أرادوا – عن غير قصد – تحويل هذا الدور الجليل للمسجد ورسالته، إلي ما يخدم أغراضهم الشخصية، فمنهم من استخدمه في تجارة أو نشدان ضالة، وقد نهي عن ذلك رسول الله (ﷺ)، روي الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ يقول قال رسول اللَّهِ (ﷺ) "من سمع رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً في الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا الله عَلَيْكَ فإن الْمَسَاجِدَ لم تُبْنَ لِهَذَا"(٢)، يقول المناوي: (زجراً له عن ترك تعظيم المسجد زاد مسلم: فإن المساجد لم تبن لهذا: أي وإنما بنيت لذكر الله تعالى والصلاة والعلم والمذاكرة في الخير ونحو ذلك ولما وضع الشيء في غير محله ناسب الدعاء عليه بعدم الربح والوجدان معاقبة له بنقيض قصده وترهيبا وتنفيرا من مثل فعله)(٣)، و إذا كان ذلك فيمن يتاجر بماله أو يبحث عنه، وقد كره لهم ذلك تعظيماً لحرمة المساجد فما بال أقوام جعلوه مرتعاً لهم يتسولون فيأكلون أموال الناس بالباطل، يمارسون فيه مهنة التسول إما بداخله، أو وقوفاً بخارجه، وبخاصة يوم الجمع والأعياد والمناسبات الدينية، يستدرون عطف الناس فيأخذون ما بجيوبهم بسيف الحياء، ناهيك عن دخولهم المسجد

(١) سورة النور، الآيات ٣٦-٣٧.

(٢) صحيح مسلم، ١/ ٣٩٧، كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَاب النَّهْيِ عن نَشْدِ الضَّالَةِ في الْمَسْجِدِ وما يَقُولُهُ من سمع النَّاشِدَ، رقم ٥٦٨.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ١/ ٣٥٧.

وأكثرهم تحمل ثيابه النجاسات، ولا يؤمن علي المسجد من تلويثهم له، ويتساهل كثير من الناس في هذا الأمر، بالسماح لهذه الفئة بالمكوث في المسجد – وخاصة الأصحاء منهم – يستغلون المسجد في نومهم وقضاء حوائجهم، وقد يتعدي الأمر إلي أبعد من ذلك أن تجد امرأة متسولة تدخل المسجد، ونتيجة لأميتها الدينية قد يكون بها عذر يحرم عليها المكوث في المسجد ثم لا تكترث لذلك، ناهيك عن اختلاطها بالمصلين...فيجب أن تنزه المساجد عن ممارسة هؤلاء لنصبهم واحتيالهم.

المبحث الثالث

الإسلام وتجفيف منابع التسول

للإسلام منهج خاص في مكافحة التسول يقوم علي تجفيف منابعه، والقضاء علي روافده، إذ يعتمد تاهيلاً نفسياً وتربوياً للمتسولين بتوجيههم الوجهة الصحيحة التي تؤمنهم وتحصنهم ضد التسول، فكان من أبرز تلك التوجيهات ما يلي :

• بث الوعي بالقيمة الحقيقية للمال

المال عصب الحياة، وقوام حياة البشرية، إذ لا تستغنى عنه، ولا يتصور لها وجود حقيقي دونه، إنه ضرورة للتعامل بين أفراد المجتمع الإنساني كله، ومن أجلّ نعم الله تعالى على بني آدم، إن حب المال غريزة فطرية، ومن ثمّ خلق الله – تعالي – للإنسان من الأسباب والوسائل ما يعينه على تحصيله، وبيّن له أوجه إنفاقه وتصريفه، وبيّن له على ألسنة رسله وأنبيائه أنّ هذا المال عارية وأمانة وأنه مستخلف فيه، ليقوم عليه بالحق والعدل في عمارة الأرض، ومن ثمّ تتفق الأديان جميعها على أن المال أحد الأمور الضرورية في هذه الحياة ولا يستقيم أمرها عند فقده، فجاء كل دين حاوياً لوسائل حفظه وحمايته، ثم يبين الإسلام موقف الإنسان من المال فيؤكد في كثير من نصوصه أن المال مال الله، فيقول تعالي: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾(١).

و ورد في السنة الشريفة ما يدل على كون الله – تعالي – هو المالك الحقيقي لكل شئ، روى الإمام البخاري من حديث بن عُمَرَ (رضي الله عنهما) قال: سمعت

(١) سورة النور، جزء من الآية: ٣٣.

رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يُهِلُّ مُلَبِّداً(١) يقول لَبَّيْكَ اللهم لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لك لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لك وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لك لَا يَزِيدُ على هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ"(٢)، وكان النبي (ﷺ) يأمر أصحابه أن يتذكروا تلك الحقيقة دائماً، وتظل دلائلها شاخصة في أذهانهم وواقع حياتهم، روى الحاكم في مستدركه، عن أبى هريرة (رضي الله عنه) أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) سأل النبي (ﷺ) فقال مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت فقال قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه فقال قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"(٣)، ففي الحديث دلالة ظاهرة على أن الله (عز وجل) هو المالك لكل شئ لا يشاركه في ملكه أحد، وقد بين القرآن الكريم كذلك في آيات كثيرة نسبة المال إلى الإنسان، تلبية للنزعة الفطرية في حب التملك (لأن هناك من الملكيات الفردية ما تقتضى الطبيعة وجوده والمحافظة عليه، فكل إنسان يجب أن يملك طعامه وكساءه ومسكنه وأداة عمله وإلا استحالت عليه الحياة.)(٤)، و أن الإنسان مستخلف في هذا المال، فيقول جلّ شأنه: ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾

(١) التلبيد: أن يجعل المحرم في رأسه شيئاً من الصمغ ليصير شعره مثل اللبد لئلا يقع فيه القمل.(عمدة القاري، ٢٢ / ٥٤)

(٢) صحيح البخاري، البخاري (ت٢٥٦ هجرية) ج ٥ / ص ٢٢١٣، كِتَاب اللِّبَاسِ، بَاب التَّلْبِيدِ، رقم ٥٥٧١، ومسلم، ج٢/ ص٨٣٤، كتاب الحج، باب التلبية وَصِفَتِهَا وَوَقْتِهَا، رقم ١١٨٣.

(٣) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابورى (ت٤٠٥ هـ) ج ١/ ص٦٩٤، رقم ١٨٩٢..، تحقيق مصطفي عبد القادر عطا، ١٩٩٠م – بيروت.

(٤) التشريع الجنائى الإسلامى مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، ج١ / ص٦١٧، دار الكاتب العربي، بيروت، بدون رقم وتاريخ الطبع.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧﴾(١) (أي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة فإن المال مال الله والعباد خلفاء الله في أمواله فعليهم أن يصرفوها فيما يرضيه وقيل وجعلكم خلفاء من كان قبلكم ممن ترثونه وستنقل إلى غيركم ممن يرثكم فلا تبخلوا به)(٢)، وبذلك يحقق لنفسه، ولغيره النفع في الدنيا، وينال به رضا الله (ﷻ) في الآخرة، فقيمة المال الحقيقية في الإسلام تنبع من دوره في إدارة عجلة الحياة، ووسيلة لعبور الدنيا إلي عالم الآخرة علي نحو ينال به الإنسان السعادة والفوز بالجنة، ولذلك أيضاً نجد الإسلام يحث علي الإنفاق وعدم كنز الأموال...

- **بيان حقارة الدنيا وقيمة التنافس المشروع**

من أبرز الأمثلة التي ساقها القرآن الكريم تلك التي تصور شأن الدنيا وحقارتها، تلك التي نتنافس فيها، ونضيع من أجلها أعمارنا دون أن نحدد هدفنا منها و مقصد وجودنا فيها، وغفلنا عن أهم دور لنا وهو التزود للآخرة، يصور القرآن الكريم قيمتها في قوله تعالي: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾ (٣)، وتأمل جمال هذا المثل القرآني الذي ينقل إلي أفهامنا حقارة الدنيا ومنزلتها، فكما أن الماء النازل من السماء إذا وقع علي نبات الأرض نما هذا الزرع، وصار حسن المنظر بهيّاً يعجب الناظرين، فإذا انقطع عنه الماء

(١) سورة الحديد، الآية: ٧.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام الشوكاني، ٥/ ١٦٧.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٥.

جفّ، وزال بهاؤه، حتى يصبح هشيماً مفتتاً متكسراً تطيره الرياح وتنسفه في كل مكان...هكذا الدنيا تظهر في بادئ أمرها جميلة حسنة المنظر...ثم تزيد في جمالها وإقبالها شيئاً فشيئاَ...حتى تأخذ أمرها في الزوال و الفناء...

و دُنيا شانها هكذا حريّ بالإنسان أن يعيش فيها كالغريب الذي ليس له مسكن يؤويه، أو عابر سبيل لا عيش له فيها ولو للحظة واحدة، وتلك وصية نبينا (ﷺ) روي الإمام البخاري في صحيحه من حديث عبد اللَّهِ بن عُمَرَ (رضي الله عنهما) قال "أَخَذَ رسول اللَّهِ (ﷺ) بِمَنْكِبِي فقال كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عَابِرُ سَبِيلٍ " وما أجمل التعبير النبوي في استخدام لفظتي الغريب وعابر السبيل والتفرقة بينهما، وكأنه (ﷺ) يقول لا تكن في الدنيا كغريب فحسب بل كن فيها كعابر سبيل، فإن الغريب قد يجد في الغربة مسكناً أما عابر السبيل في الأرض الموحشة والمفاوز المهلكة، لا مقام له فيها ولو للمحة واحدة، و لذلك كان ابن عُمَر (رضي الله عنهما) يقول: إذا أَمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ وإذا أَصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ وَخُذْ من صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.

• تربية المسلم علي عزة النفس

ركزت تعاليم الإسلام علي تربية المسلم علي أن يكون ذا همة عالية وعزة نفس تأبي الامتهان والضيم، فجاءت وفق الفطرة السوية التي تتحقق فيها تلك الأمور، فصاحب الفطرة السوية دائماً يسعي عن الاستغناء عن الناس في كل شيئ ما خلا الأمور التي تحقق فيه مدنيته التي جبل عليها، أما الأمور التي يستطيع فعلها بنفسه فلا يسأل الناس إياها، حتى ولو من باب قضاء الحوائج المباحة، وهكذا كان منهج السلف في ذلك وفهمهم له، إذا سقط سوط أحدهم لا يسأل أحدا يناوله إياه، وأن الإنسان الحر ينحت الصخر ويطوي بطنه علي ألم الجوع ولا يريق ماء وجهه بسؤاله الناس..ولما كانت الفاقة والمسكنة ملجئة للبعض

إلي سؤال الناس جعل الإسلام لهم حقاً في أموال الأغنياء..إذا لم يأت إليهم هذا الحق سألوا الناس إياه بما يكفهم مؤنة العيش...وحظر عليهم سؤال الزيادة عليه..لأنه يدخل بذلك في باب تكثير الأموال، واتخاذها مهنة له يستخدم فيها وسائل و أساليب محرمة...تجعل ما يأخذه من باب أكل أموال الناس بالباطل...لذلك جاء النهي عن سؤال الناس من غير حاجة...و بيان العقاب الذي ينتظر هذا الصنف من الناس،

ثم بينت السنة المطهرة أن عزة المؤمن تكون بالاستغناء عن الناس وعدم التطلع إلي ما في أيديهم، روى الطبراني في "الأوسط" بإسناد حسن عن سهل بن سعد (ﷺ) قال: "جاء جبريل إلى النبي (ﷺ) فقال: يا محمد، عش ما شئت، فإنك ميت، واعمل ما شئت، فإنك مجزي به، وأحبب من شئت، فإنك مفارقه، واعلم أنَّ شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس"(١)، وكما قيل: "استغن عمن شئت تكن نظيره " وقد بيّن لنا رسول الله (ﷺ) أن من أسباب محبة الناس لك أن تزهد عما في أيديهم، روي الحاكم في المستدرك من حديث سهل بن سعد (ﷺ) أن النبي (ﷺ) وعظ رجلا فقال ازهد في الدنيا يحبك الله (ﷻ) وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(٢)، ويربط الإسلام كذلك بين عزة نفس المسلم وبين أن يكون دائماً صاحب يد عليا معطاءة، لا يقبل أن تكون يده دائماً مفتوحة لطلب الإحسان وسؤال الناس.. روي الحاكم في المستدرك من حديث محمد بن عطية حدثني أبي أن أباه أخبره قال "قدمت على رسول الله (ﷺ) في أناس من بني سعد بن بكر وكنت أصغر القوم فخلفوني في رحالهم ثم أتوا رسول الله (ﷺ) فقضى من حوائجهم ثم قال هل بقي منكم من أحد

(١) المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، ٤/ ٣٠٦، تحقيق طارق عوض الله، ١٤١٥ هـ، دار الحرمين – القاهرة.

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ٤/ ٣٤٨.

قالوا نعم غلام معنا خلفناه في رحالنا فأمرهم أن يبعثوا إلي فأتوني فقالوا أجب رسول الله (ﷺ) فأتيته فلما رآني قال ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا فإن اليد العليا هي المنطية وإن اليد السفلى هي المنطاة وإن مال الله تعالى لمسؤول ومنطي قال فكلمني رسول الله (ﷺ) بلغتنا هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه "(١)

- **تعزيز الشعور بالقناعة والعفة**

رغب الإسلام الناس في القناعة والرضا وحثهم علي العفة وعدم التطلع إلي ما في أيدي الناس، ثم يعدهم إنهم التزموا ذلك وطبقوه، يعفهم الله تعالي ويغنيهم من فضله، روي الإمام الترمذي في سننه من حديث أبي سَعِيدٍ الخدري * أَنَّ نَاسًا من الْأَنْصَارِ سَأَلُوا النبي (ﷺ) فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ قال ما يَكُونُ عِنْدِي من خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله وما أُعْطِيَ أَحَدٌ شيئا هو خَيْرٌ وَأَوْسَعُ من الصَّبْرِ قال أبو عِيسَى وفي الْبَاب عن أَنَسٍ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ "(٢)

جاء في شرح السيوطي للنسائي: (قال التيمي أي من يطلب العفاف وهو ترك المسألة يعطيه الله العفاف ومن يطلب الغنى من الله يعطه وقال بعضهم معناه من طلب من نفسه العفة عن السؤال ولم يظهر الاستغناء يعفه الله أي يصيره عفيفا ومن ترقى من هذه المرتبة إلى ما هو أعلى وهو إظهار الاستغناء

(١) المستدرك علي الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥ هـ)، ٤/ ٣٦٣.

(٢) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩ هـ)، ٤ / ٣٧٣، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

عن الخلق يملأ الله قلبه غنى لكن أن أعطى شيئا لم يرده)([1])، وهؤلاء إن سألوا الناس لا يسألونهم إلحافاً، قال تعالي: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾([2])، وروي الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال "ليس الْمِسْكِينُ الذي تَرُدُّهُ الْأُكْلَةَ وَالْأُكْلَتَانِ وَلَكِنْ الْمِسْكِينُ الذي ليس له غِنًى وَيَسْتَحْيِي أو لَا يَسْأَلُ الناس إِلْحَافًا"([3])، يقول العيني: (وفيه: زجر عن التكفف وترغيب في التعفف والقناعة بالإقلال)([4])،

(١) شرح السيوطي لسنن النسائي، السيوطي، ٥/ ٩٥، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، ١٩٨٦م، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٣.

(٣) صحيح البخاري، ٢/ ٥٣٧، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { لَا يَسْأَلُونَ الناس إِلْحَافًا }... رقم ١٤٠٦.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ، ٩/ ١٣٩، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

• الترهيب من سؤال الناس بغير حاجة

قد تصيب الإنسان فاقة لا قبل له بها ولا قدرة له علي تحملها، ضاق رزقه وقلت حيلته في طلبه، أو أصيب في بدنه إصابة حالت بينه وبين احتراف المهن والضرب في الأرض ابتغاء الرزق، في هذه الأحوال يجوز للإنسان أن يسأل الناس بقدر حاجته إليه ولا يأخذ فوقها حتى لا يصير ممتهناً لسؤال الناس فيكون متسولاً، ذلك أن تعاليم الإسلام تنهي عن سؤال الناس من غير حاجة، وورد الوعيد الشديد لذلك، وقد بينت السنة المطهرة من تجوز له المسألة، وذلك فيما رواه أبو داود في سننه من حديث قَبِيصَةَ بن مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ قال "تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ النبي (ﷺ) فقال أَقِمْ يا قَبِيصَةُ حتى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لك بها ثُمَّ قال يا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إلا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ له الْمَسْأَلَةُ فَسَأَلَ حتى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ فَاجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ له الْمَسْأَلَةُ فَسَأَلَ حتى يُصِيبَ قِوَامًا من عَيْشٍ أو قال سِدَادًا من عَيْشٍ وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حتى يَقُولَ ثَلَاثَةٌ من ذَوِي الْحِجَى من قَوْمِهِ قد أَصَابَتْ فُلَانًا الْفَاقَةُ فَحَلَّتْ له الْمَسْأَلَةُ فَسَأَلَ حتى يُصِيبَ قِوَامًا من عَيْشٍ أو سِدَادًا من عَيْشٍ ثُمَّ يُمْسِكُ وما سِوَاهُنَّ من الْمَسْأَلَةِ يا قَبِيصَةُ سُحْتٌ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا"(١) ومن ثمّ كره الإسلام إلي أتباعه سؤال الناس بغير حاجة، ليخلق فيهم عزة النفس و رفعة الشأن، وحبب إليهم اليأس ما في أيدي الناس والزهد فيما يملكونه، إرضاء لربهم، واكتساب محبة الناس لهم، روي الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ قال حدثني الْحَبِيبُ الْأَمِينُ أَمَّا هو فَحَبِيبٌ إلي وَأَمَّا هو عِنْدِي فَأَمِينٌ عَوْفُ بن مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ "قال كنا عِنْدَ رسول اللَّهِ (ﷺ) تِسْعَةً أو ثَمَانِيَةً أو سَبْعَةً فقال ألا تُبَايِعُونَ

(١) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ)، ٢/ ١٢٠، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

رَسُولَ اللَّهِ وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ فَقُلْنَا قد بَايَعْنَاكَ يا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ قال أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ فَقُلْنَا قد بَايَعْنَاكَ يا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ قال أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ قال فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا قد بَايَعْنَاكَ يا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ قال على أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شيئا وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَتُطِيعُوا وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً ولا تَسْأَلُوا الناس شيئا فَلَقَدْ رأيت بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فما يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ"(١)

جاء في شرح النووي علي صحيح مسلم، (فيه التمسك بالعموم لأنهم نهوا عن السؤال فحملوه على عمومه وفيه الحث على التنزيه عن جميع ما يسمى سؤالا وان كان حقيرا والله أعلم)(٢)

بعض الآثار المترتبة علي سؤال الناس بغير حاجة

- **انهزام النفس وكسر الخاطر**

فقد يجد من الناس أعيناً عمياً عن رؤية حاله و آذاناً صماً عن سماع سؤاله،...فيكسر خاطره، وفي هذا الموقف ما يوضح ذلك، حيث (وقف أعرابي في شهر رمضان على قوم فقال: يا قوم لقد ختمت هذه الفريضة على أفواهنا من صبح أمس ومعي بنتان لي والله ما علمتهما تحللتا بحلال فهل رجل كريم يرحم اليوم مقامنا ويرد حشاشتنا منعه الله أن يقوم مقامه فإنه مقام ذل وعار وصغار، فافترق القوم ولم يعطوه شيئا فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعا ثم قال: أشد والله على من سوء حالي وفاقتي توهمي فيكم المواساة انتعلوا الطريق لاصحبكم

(١) صحيح مسلم، ٢/ ٧٢١، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَاب كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ، رقم ١٠٤٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت ٦٧٦هـ)، ٧ / ١٣٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الله)([1]). فهذا السائل أصابه من كسر الخاطر ما هو أشد عليه من فاقته وحاجته، هكذا كل سائل ومحتاج ومتسول بقي في وجهه ماء الحياء.

- **قبح المنظر في الدنيا والآخرة،**

فإن المتسول يتسبب في تشويه صورته من آثار تسوله كأنه يجرح بها وجهه، ومن كثرة تسوله يأتي يوم القيامة وفي وجهه كآثار الخدش أو العض، روي الإمام الترمذي في سننه من حديث عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ قال قال رسول اللَّهِ (ﷺ) "من سَأَلَ الناس وَلَهُ ما يُغْنِيهِ جاء يوم الْقِيَامَةِ وَمَسْأَلَتُهُ في وَجْهِهِ خُمُوشٌ أو خُدُوشٌ أو كُدُوحٌ قِيلَ يا رَسُولَ اللَّهِ وما يُغْنِيهِ قال خَمْسُونَ دِرْهَمًا أو قِيمَتُهَا من الذَّهَبِ قال وفي الْبَاب عن عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو قال أبو عِيسَى حَدِيثُ بن مَسْعُودٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ"([2]).

جاء في عون المعبود: ("كدوح" مثل صبور للمبالغة من الكدح بمعنى الجرح أو هي آثار الخموش، قال في المرقاة فالإخبار به عن المسائل باعتبار من قامت به أي سائل الناس أموالهم جارح لهم بمعنى مؤذيهم أو جارح وجهه وبضم الكاف جمع كدح وهو أثر مستنكر من خدش أو عض والجمع هنا أنسب ليناسب المسائل (يكدح بها الرجل) أي يجرح ويشين بالسائل "وجهه" ويسعى في ذهاب عرضه بالسؤال يريق ماء وجهه فهي كالجراحة)([3])، ثم تبين لنا السنة المطهرة أن قبح منظره ناتج عن تساقط لحم وجهه في الآخرة،

---

(١) ذيل جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، ٣/ ٢٧٠.

(٢) الجامع الصحيح سنن الترمذي، الترمذي ٣/ ٤٠.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ٥ / ٣٤، تاريخ النشر ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية – بيروت.

• يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم.

روي الإمام البخاري في صحيحه من حديث عَبْدَ اللَّهِ بن عُمَرَ (ﷺ) قال قال النبي (ﷺ) "ما يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ الناس حتى يَأْتِيَ يوم الْقِيَامَةِ ليس في وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ"(١) وذلك عقوبة له حين سأل الناس وتعرض لهم بوجهه. جاء في الديباج (وليس في وجهه مزعة لحم بضم الميم وسكون الزاي أي قطعة قيل هو على ظاهره فيجيء وجهه عظم لا لحم عليه عقوبة له حين سأل بوجهه كما جاءت الأحاديث بالعقوبات في الأعضاء التي كانت بها المعاصي وقيل هو كناية عن إتيانه يوم القيامة ذليلا ساقطا لا وجه له عند الله قال النووي وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالاً منهياً عنه وكثر منه)(٢) وهذا أسلوب ترهيب يحذر من المسألة لغير حاجة.

• **يستكثرون من نار جهنم**

فالمتسولون في غفلة لا يدرون أنهم بسؤالهم الناس من غير حاجة إنما يستكثرون من نار جهنم، روي الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ قال قال رسول اللَّهِ (ﷺ) "من سَأَلَ الناس أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أو لِيَسْتَكْثِرْ "(٣).

جاء في الديباج شرح مسلم (تكثرا أي استكثارا منها من غير ضرورة ولا حاجة يسأل جمرا قال القاضي معناه أنه يعاقب بالنار قال ويحتمل أن يكون على ظاهره وأن الذي يأخذه يصير جمرا يكوى به كما ثبت في مانع الزكاة فليستقل أو ليستكثر قال القرطبي هذا أمر على وجهة التهديد أو على وجهة الإخبار عن مآل

(١) صحيح البخاري، ٢/ ٥٣٦، كتاب الزَّكَاةِ، بَاب من سَأَلَ الناس تَكَثُّرًا، رقم١٤٠٥.

(٢) الديباج على مسلم، ٣ / ١٢٠.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، ٢/ ٧٢٠، كتاب الزَّكَاةِ، بَاب كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ، رقم ١٠٤١.

حاله ومعناه أنه يعاقب على القليل من ذلك والكثير)[1]، وواجب علي دعاة الأمة أن يبينوا للناس خطر التسول بالترغيب تارة وبالترهيب من نار جهنم تارة الأخرى عسي أن يجد في هؤلاء المتسولين أذناً صاغية وقلوباً واعية محذرين إياهم خطر السؤال من غير حاجة.

(١) الديباج على مسلم، ٣/ ١٢٠.

المبحث الرابع

طرق عملية لمكافحة التسول

هناك عدة طرق عملية لمكافحة التسول مستمدة من تعاليم الإسلام، أركز الحديث عنها في النقاط التالية:

- **النقطة الاولي**: تشجيع هذه الفئة علي العمل والإنتاج

لقد رغّب الإسلام في ضرورة السعي والضرب في الأرض ابتغاء فضل الله، وهو من الأسباب الحقيقية لحصول الإنسان علي رزقه، ومن ثمّ حبب إلي الإنسان أن يعمل بيديه، و كرّه إليه الكسل ومساوئه , ورفضت تعاليم الإسلام أن يكون الإنسان خاملاً كسولاً ينام أكثر عمره , فإن الفقر يأتي سريعاً لكثيري النوم قليلي النشاط , فلا ينبغي للإنسان أن يكون أقل فطنة من النملة التي تعد طعامها صيفاً وتدخره للشتاء؛ أفلا يتدبر الكسول طرقها ؟! ويتفكر في شأنها ؟! وهى التي ليس لها من يقودها ويرشدها ؟!

ولو أن كلّ متسول قضي نصف الوقت الذي يمكثه أثناء التسول، وما يبذله من جهد في الكلام، و إراقة ماء الوجه في عمل نافع لأفاد نفسه ومجتمعه، فقد لاحظ أحد الباحثين من خلال الدراسة الميدانية أن عدد ساعات العمل لديهم يفوق أي مهنة أخري نعرفها، كما أن الظروف التي يمارسون فيها نشاطهم تعد ظروفاً قاسية بكل المقاييس، فالوقوف في الشارع صيفاً وشتاء لا يعد أمراً جميلاً ولا يستطيعه أي شخص، كما أن مواجهة أخطار الحياة اليومية في الشارع أمر ينفي فكرة الكسل لديهم...

- لقد باتت فكرة المتسول الكسول في المجتمع المصري فكرة قديمة، فهم أكثر نشاطاً من غيرهم !!، فإذا خرجت من بيتك مبكراً ذاهباً إلي عملك فإذا بك تصطدم بهم في الطرقات في وقت مبكر من النهار، فضلاً عن بعضهم الذي لا

تمل قدماه أن تجوب شوارع القرية أو المدينة يومياً...فهل يمكن لهؤلاء أن يوجهوا هذا الجهد الكبير في الكسب الطيب الذي يحفظ كرامتهم و إنسانيتهم... ؟!! فلقد دعا الإسلام إلي العمل، ومدح من يأكل من عمل يده، روي الإمام البخاري في صحيحه أن رسول اللَّهِ (ﷺ) قال "ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا من أَنْ يَأْكُلَ من عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ (عليه السلام) كان يَأْكُلُ من عَمَلِ يَدِهِ"(١).ثم يربط الإسلام بين إعلاء قيمة العمل، وترك سؤال الناس ليكون الهدف والمقصد هو حفظ كرامة الإنسان وعزة نفسه، والاستعفاف عن مسألة الناس، روي الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يقول قال رسول اللَّهِ (ﷺ) "لَأَنْ يَحْتَطِبَ أحدكم حُزْمَةً على ظَهْرِهِ خَيْرٌ من أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أو يَمْنَعَهُ"(٢)، ويجب أن نرسخ في أذهان هؤلاء مدي ارتباط العمل بالتوكل علي الله، و أسباب تحصيل الرزق، فالتوكل علي الله تعالي وصية الأنبياء والمرسلين لأقوامهم، فهذا سيدنا موسي (عليه السلام) يذكر قومه أنه ينبغي بمقتضي انقيادهم لله وخضوعه له أن يتوكلوا عليه ويكلوا كل أمورهم إليه، يقول الله تعالي: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾(٣) وقد امتثلوا فَقَالُوا: عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا، وإذا كان التوكل علي الله تعالي لازم لإسلام المرء فهو كذلك دليل إيمانه وعلامة عليه مصداقاً لقول الله (عز وجل): ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٤)

(١) صحيح البخاري، ٢/ ٧٣٠، كِتَاب الْبُيُوعِ، بَاب كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بيده، رقم ١٩٦٦.
(٢) صحيح البخاري، ٢/ ٧٣٠، كِتَاب الْبُيُوعِ، بَاب كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بيده، رقم ١٩٦٨.
(٣) سورة يونس: ٨٤.
(٤) سورة الملك: ٢٩.

والإسلام هو الدين الذي ربط قضية التوكل علي الله تعالي بتوحيده وعبادته جلّ شأنه في آية كريمة هي قوله تعالي: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾(١) فهو خالق كل شيئ ومرده إليه فليقطع العبد الرجاء في غيره فهو كافيه، وفيه إشارة إلي أن التوكل بدون عبادة لا ينفع، وهذا ما يوضح التلازم بين التوكل والعبادة،

النقطة الثانية: التكافل الاجتماعي وأثره في الحد من هذه الظاهرة

من سنة الله تعالي في خلقه تفاوتهم في كل شيئ، في الملكات والمواهب والأرزاق، فأصبح فيهم الغني والفقير، والقادر علي كسب قوته والعاجز عنه، وكلهم يحتاج إلي المال يكفيه عيشه ويسد عوزه..(فكيف يكون الحل لهذه المشكلة، وكيف يكون العلاج لمن لم يقدروا علي الكسب، أو لم يقدروا علي ما يسد حاجتهم من كسبهم ؟ لا بد من نظام يكفل للجماعة سد هذا النقص أي سد حاجتهم جميعاً، بحيث يحمل القادر العاجز ويسد الغني عوز الفقير)(٢).

و من الحقائق الإسلامية الثابتة أن الإسلام دين يدعو إلي التكافل الاجتماعي بين أتباعه، في كل نواحي حياتهم ضرورية كانت أو غير ضرورية، فنظام التكافل الاجتماعي لا يقتصر علي تلبية الاحتياجات المالية ولا يمكن اختزاله في هذه الناحية فقط، فحقيقته أشمل من ذلك، إلا أن تلك المساعدات باتت أبرز جوانبه، يتعاون فيه الناس علي انتهاج المواقف النافعة لأفراد المجتمع الإسلامي يساند بعضهم بعضاً ويتضامنون فيما بينهم علي تحقيق عيش كريم

---

(١) سورة هود: ١٢٣.

(٢) رسالة علمية بعنوان: التكافل الاجتماعي والقرآن الكريم، أنس جميل طبارة، ص ٩، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية ١٩٧٧م.

للفرد لإيجاد مجتمع أفضل، انطلاقاً من تعاليم أرستها وأسست قواعدها العقيدة الإسلامية، من الانتماء الديني، والشعور بالأخوة الإيمانية، إذ يقول جلّ شأنه: "إنما المؤمنون إخوة"(١) وما يتبع تلك الأخوة من إعانة المحتاج و إغاثة الملهوف، ..والسعي علي الأرملة واليتيم وغير ذلك...حتى تجد مجتمعاً تنزوي فيه مظاهر الفقر المدقع، الذي يدفع البعض إلي احتراف التسول والبطالة، وتختفي فيه معالم الجريمة من القتل والسرقة والحرابة من أجل الحصول علي القوت اليومي وما يوصل إلي درجة الكفاف !!. (فإن توجيه الإسلام لأبواب البر والإحسان بين المسلمين من تفريج الكربات والتيسير علي المعسر والستر علي المسلم تدل علي سعة ميادين التكافل الاجتماعي في حياة الناس لتحقيق التعاون علي الخير بينهم واستفادة بعضهم من بعض، والتربية الإسلامية لا تقتصر علي هذا الهدف بل تتجاوزه إلي غاية أعظم و اجل هي ابتغاء رضي الله واستحقاق رحمته وعونه)(٢).

وأصل الدعوة إلي التكافل الاجتماعي تكمن في قوله تعالي: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾(٣) وقد بيّنت مصادر الدين الإسلامي في كثير من النصوص مظاهره و آثاره في المجتمع المسلم، وتقديراً لذلك تأتي الدعوة إليه عقب الأمر بعبادة الله تعالي وعدم الإشراك به، إذ يقول ربنا في كتابه العزيز: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ

(١) سورة الحجرات: جزء من الآية ١٠.

(٢) التكافل الاجتماعي في ضوء التربية الإسلامية، سلطان بن عوض الجعيد، ص ٥٤، جامعة أم القرى، ١٤٣٠ هـ.

(٣) سورة المائدة، جزء من الآية: ٢.

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾(١) فإيتاء المال علي حبه وتوجيهه إلي ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب...فوق أنه يخلص الإنسان من عبادة المال وبذل الأعمار دونه، وجلبه من كل طريق مشروع أو غير مشروع، و إنفاقه في أوجه قد تكون غير مباحة، فوق ذلك فهو يعمل علي تحقيق نوع من حياة كريمة يعيشها الناس في ظل تكافل اجتماعي لا يوجد بتلك الصورة في أيٍ من الأديان الإلهية إلا الدين الإسلامي...ثم تضع السنة الشريفة المعادلة التي تحقق ذلك في أعلي صوره، فترشد إلي أنه لن يكتمل إيمان المرء إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومن جملة ذلك إيصال الخير إليه بما يكفل له عيشاً كريماً ومستقراً آمناً... روي الإمام البخاري في صحيحه من حديث أَنَسٍ عن النبي (ﷺ) قال "لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"(٢) وما ظهر الفقر وانتشرت الفاقة إلا بتقصير المسلمين علي – نحو ما – في تطبيق هذا المنهج النبوي السديد، ما خلا ما يفعله المسلمون في نجدة إخوانهم إذا نزلت بهم الكوارث المهلكة، فنحن نريده منهجاً حياتياً يترسمه المسلمون في السراء والضراء، في الشدة والرخاء، حتى تشيع في المجتمع المسلم روح المحبة والتآلف والمودة والرحمة، ولن يكون ذلك إلا إذا عاد المسلم بفائض حاجته علي أخيه عن

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) صحيح البخاري، ١/ ١٤، كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب من الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، رقم ١٣.

رضا وطيب نفس، روي الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال "بَيْنَمَا نَحْنُ في سَفَرٍ مع النبي (ﷺ) إِذْ جاء رَجُلٌ على رَاحِلَةٍ له قال فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا فقال رسول اللَّهِ (ﷺ) من كان معه فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ على من لَا ظَهْرَ له وَمَنْ كان له فَضْلٌ من زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ على من لَا زَادَ له قال فذكر من أَصْنَافِ الْمَالِ ما ذَكَرَ حتى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ"(١) ففي الحديث الشريف حث علي المواساة والإحسان إلي الأصحاب والرفقاء والمبالغة في ذلك، علي نحو يحفظ كرامة المحتاجين والسائلين، فيكفي مجرد تعريضهم من غير سؤال، وهذا الفهم مستقي من قوله (ﷺ) "فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً". و ليس للتكافل الاجتماعي وقت محدد أو مناسبة معلومة، فهو منهج إسلامي دائم شامل، لكنه في بعض الأوقات يكون ألزم وفي بعض الأمكنة أوجب،

موارد التكافل الاجتماعي

تتنوع موارد التكافل الاجتماعي في الإسلام إلي نوعين رئيسين منها ما هو علي سبيل الوجوب ومنها ما هو علي سبيل التطوع.

أولا: موارد التكافل الاجتماعي الوجوبية

١ – الزكاة

جاء ترتيب الزكاة في الإسلام كثالث شعيرة من شعائره، ثابتة فرضيتها بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، أما من القرآن الكريم، فيأتي الأمر بأدائها مقروناً بشعيرة الصلاة في كثير من آيات القرآن الكريم، فقال الله (ﷻ):﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾(٢) سورة فطلب الإيتاء هنا دليل علي

(١) صحيح مسلم، ٣/ ١٣٥٤، كِتَاب اللُّقَطَةِ، بَاب اسْتِحْبَابِ الْمُؤَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ، رقم ١٧٢٨.

(٢) البقرة: ٤٣.

فرضيتها ووجوبها، ثم يتحدث القرآن الكريم عنها أيضاً في ربط محكم بين آثارها في نفس المسلم بخاصة والمجتمع الإنساني بصفة عامة، فقال تعالي: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾(١).

أما دليل فرضيتها من السنة النبوية المطهرة، فقد جاءت نصوص كثيرة تدل علي ذلك، وأكتفي هنا بما رواه الإمام البخاري في صحيحه من حديث بن عُمَرَ (رضي الله عنهما) قال قال رسول اللَّهِ (ﷺ) "بُنِيَ الْإِسْلَامُ على خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ "(٢).

وقد أجمع المسلمون في عصورهم و أمصارهم علي فرضيتها، وصارت معلوماً من الدين بالضرورة يكفر جاحدها و منكرها.

وقد فرضها الله تبارك وتعالي لحكم عظيمة وغايات نبيلة، تعمل علي إشاعة حالة من المودة والتراحم بين أفراد المجتمع المسلم، بتقريب الهوة بين الأغنياء والفقراء، وتخليص ذواتهم من آثار الحب الشديد للمال، والنجاة من طغيانه، وشاهد ذلك مارواه الإمام البخاري في صحيحه من حديث بن عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا (رضي الله عنه) على الْيَمَنِ قال إِنَّكَ تَقْدَمُ على قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إليه عِبَادَةُ اللَّهِ فإذا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قد فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فإذا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عليهم زَكَاةً من

(١) سورة التوبة: ١٠٣.

(٢) صحيح البخاري، ١/ ١٢، كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب الإيمان وقول النبي (ﷺ) بُنِيَ الْإِسْلَامُ على خَمْسٍ، رقم ٨.

أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ على فُقَرَائِهِمْ فإذا أَطَاعُوا بها فَخُذْ منهم وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ الناس"(١)، فالتسول ينشأ من التفاوت الرهيب بين الأغنياء والفقراء، ودواؤه أداء الزكاة و إعطاء الفقراء حقهم من أموال الأغنياء،

وتعتبر الزكاة من أهم صور التكافل الاجتماعي بين المسلمين، من حيث اتساع شريحة المستفيدين منها، والتي يعبر عنها بمصارف الزكاة الواردة في قوله تعالي: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾(٢)، يقول ابن العربي في تفسيره: (هذه الآية من أمهات الآيات إن الله بحكمته البالغة وأحكامه الماضية العالية خص بعض الناس بالأموال دون البعض نعمة منه عليهم وجعل شكر ذلك منهم إخراج سهم يؤدونه إلى من لا مال له نيابة عنه (ﷻ) فيما ضمنه بفضله لهم في قوله [﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴿٦﴾﴾(٣)](٤)، وعن طريق الزكاة يتضامن الغني مع الفقير في إيصال الخير إليه، ويعطي ذا المال حق الفقير في ماله، وكذا أصحاب الأعذار والمعوزين ومن ليس لهم عائل أو مورد رزق، فإن (العبرة أن تسد الزكاة حاجة المضطر سواء أكان معدماً أم يملك شيئاً لا يكفيه..ويدخل في

(١) صحيح البخاري، ٢/ ٥٢٩، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَاب لَا تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ الناس في الصَّدَقَةِ، رقم ١٣٨٩.

(٢) سورة التوبة: ٦٠.

(٣) سورة هود: ٦.

(٤) أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (ت ٥٤٣هـ)، ٢/ ٥١٩، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر – لبنان.

زمرة الفقراء والمساكين: المرأة التي ليس لها مال ولا معيل، واليتيم الذي لا مال له ولا معيل كذلك، والعاجز عن العمل بسبب مرض مزمن، و الكبير العاجز عن الكسب، ومن لا يجد عملاً وليس له مال يكفيه أو له عمل لا يكفيه)([1])، ولا يخفي ما للزكاة من أثر في حل مشكلة التسول، بالقضاء علي مسبباته من الفقر و البطالة، ودفع عجلة الاستثمار والتنمية، وسد حاجة الفقراء والبؤساء والمحرومين.

٢- النذور

النذر أن يلزم الإنسان نفسه بشيئ إن تحقق له أمر ما، و هذا النذر إنما يستخرج به من البخيل، لأنه علق إخراج المال علي حصول وتحقق ما نذر عليه، ظناً منه أنه يغني عن القدَر، فقد روي البخاري ومسلم في صحيحهما – واللفظ للبخاري – من حديث عبد اللَّهِ بن عُمَرَ "نهى النبي (ﷺ) عن النَّذْرِ وقال إنه لَا يَرُدُّ شيئا وَلَكِنَّهُ يُسْتَخْرَجُ بِهِ من الْبَخِيلِ"([2])، قال الطيبي في بيان النذر المنهي عنه (تحريره أنه علل النهي بقوله فإن النذر لا يغني من القدر ونبه به على أن النذر المنهي عنه هو النذر المقيد الذي يعتقد أنه يغني عن القدر بنفسه كما زعموا وكم نرى في عهدنا جماعة يعتقدون ذلك لما شاهدوا من غالب الأحوال حصول المطالب بالنذر)([3])،

---

(١) دور الزكاة في التنمية الاقتصادية، ختام عارف عماوي، ص ٤٥، جامعة النجاح الوطنية – فلسطين ن عام ٢٠١٠ م.

(٢) صحيح البخاري، ج ٦/ ص ٢٤٦٣، كتاب لْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ وَقَوْلِهِ { يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} رقم ٦٣١٥ ٠ ومسلم ج ٣/ ص ١٢٦١، كتاب النَّذْرِ، بَاب النَّهْيِ عن النَّذْرِ وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ شيئا، رقم ١٦٣٩.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، ج ٥/ ص ١١٧.

والوفاء به واجب، لقوله تعالي: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾(١) والأمر في هذه الآية يدل علي وجوب الإيفاء بالنذر، و الوفاء به من صفات عباد الله الأبرار المستحقون للنعيم الأبدي في الآخرة، إذ يقول الله تعالي فيهم: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾(٢)، ولا شك أن من علق حصول مراده علي إنفاق أو إطعام أو كسوة، وتوجيه ذلك إلي تلك الفئة المعوزة التي قد تطرها الظروف إلي احتراف التسول يسهم بشكل ما في إغنائهم وسد حاجتهم والقضاء علي فاقتهم.

٣- الكفارات

شرع الإسلام الكفارات تكفيراً للذنوب، والتقصير في الطاعات، تزكية للنفس، وتنقية للقلب، وهي متنوعة بحسبها من تصدق أو إطعام أو كسوة، يستفيد منها الفقراء والمساكين..وتمثل رافداً من روافد التكافل الاجتماعي، فمنها:

- كفارة اليمين، وفي ذلك يقول الله تعالي: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾(٣).

---

(١) سورة الحج: ٢٩.

(٢) سورة الإنسان: ٧.

(٣) سورة المائدة: ٨٩.

• كفارة المفطر في رمضان لمرض أو كبر، قال تعالي: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾(١).

• كفارة الظهار، وفيها قوله تعالي: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾(٢).

• كفارة قتل الصيد للمحرم بالحج، وفيه قوله تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾(٣).

• كفارة من يحلق رأسه في الإحرام بالحج، وفيه قوله تعالي: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة: ١٨٤.

(٢) سورة المجادلة: ٤.

(٣) سورة المائدة: ٩٥.

(٤) سورة البقرة: ١٩٦.

ولكل نوع من هذه الكفارات مصلحة مبتغاة من وراء تشريعها يحقق للإنسانية مصلحتها في العاجل والآجل، ومن جملتها التكفير بالإحسان إلي الفقراء والبرّ بهم، بالتصدق بالأموال، والإطعام والكسوة، ويمثل ذلك نوعاً من التكافل الاجتماعي الذي يضيق دائرة السائلين، ويكافح التسول.

ثانياً: موارد التكافل الاجتماعي التطوعية

للتكافل الاجتماعي موارد تطوعية يحرص عليها المحبون للبذل والإنفاق ابتغاء مرضاة الله تعالي، وهي كثيرة ومتنوعة أركز فيها علي ماله صلة وثيقة بمعالجة ظاهرة التسول بقدر ما، ومن ذلك ما يلي:

أ – الوقف الخيري

وحقيقته أن يوقف الإنسان جزءاً من ماله لا يخضع لإرث أو بيع أو هبة. وتذهب ثمرته ونتاجه للموقوف عليهم..وهو باب من أبواب البر والخير الذي حثّ عليه الدين الإسلامي، روي الإمام مسلم في صحيحه من حديث نَافِعٍ عن بن عُمَرَ قال * أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ فَأَتَى النبي (ﷺ) يَسْتَأْمِرُهُ فيها فقال يا رَسُولَ اللَّهِ إني أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لم أُصِبْ مَالًا قَطُّ هو أَنْفَسُ عِنْدِي منه فما تَأْمُرُنِي بِهِ قال إن شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بها قال فَتَصَدَّقَ بها عُمَرُ أَنَّهُ لَا يُبَاعُ أَصْلُهَا ولا يُبْتَاعُ ولا يُورَثُ ولا يُوهَبُ قال فَتَصَدَّقَ عُمَرُ في الْفُقَرَاءِ وفي الْقُرْبَى وفي الرِّقَابِ وفي سَبِيلِ اللَّهِ وبن السَّبِيلِ وَالضَّيْفِ لَا جُنَاحَ على من وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ منها بِالْمَعْرُوفِ أو يُطْعِمَ صَدِيقًا غير مُتَمَوِّلٍ فيه قال فَحَدَّثْتُ بهذا الحديث مُحَمَّدًا فلما بَلَغْتُ هذا الْمَكَانَ غير مُتَمَوِّلٍ فيه قال مُحَمَّدٌ غير مُتَأَثِّلٍ مَالًا قال بن عَوْنٍ وَأَنْبَأَنِي من قَرَأَ هذا الْكِتَابَ أَنَّ فيه غير مُتَأَثِّلٍ مَالًا"(١)،

(١) صحيح مسلم، ٣/ ١٢٥٥، كِتَاب الْوَصِيَّةِ، بَاب الْوَقْفِ، رقم ١٦٣٢.

يقول الإمام النووي: (وفي هذا الحديث دليل على صحة أصل الوقف وأنه مخالف لشوائب الجاهلية وهذا مذهبنا ومذهب الجماهير ويدل عليه أيضا إجماع المسلمين على صحة وقف المساجد والسقايات وفيه أن الوقف لا يباع ولا يوهب ولا يورث إنما يتبع فيه شرط الواقف وفيه صحة شروط الواقف وفيه فضيلة الوقف وهي الصدقة الجارية وفيه فضيلة الإنفاق مما يحب وفيه فضيلة ظاهرة لعمر (ﷺ) وفيه مشاورة أهل الفضل والصلاح في الأمور وطرق الخير)([1])

فالوقف يُعد من الصدقات الجارية التي يمتد ثوابها للإنسان بعد وفاته، روي الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قال "إذا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا من ثَلَاثَةٍ إلا من صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له"([2])، وقد حمل كثير من العلماء " الصدقة الجارية " علي الوقف وما يدوم نفعه،

والوقف الخيري من أهم الأمور المعينة علي القضاء علي التسول بطريقة عملية حين يكون ينصب عائده علي صنف من الأصناف التي تتعرض للحاجة والمسألة كرعاية الأيتام والأرامل والمطلقات، وذوي الأعذار...إلخ، وبفضل الله يوجد في المجتمع المصري كثير من المقتدرين، والأغنياء، في استطاعتهم القيام بمثل هذه الأعمال في كافة المجالات؛ التعليم والدعوة والصحة...، فبناء مدرسة، أو إنشاء مكتب لتحفيظ القرآن الكريم، أو بناء مستوصف أو مستشفي أو أي مشروع يدر عائداً، لو أن كل غني نفذ أحد هذه المشروعات كل حسب طاقته، و أوقف دخله علي إعانة المحتاجين والمهمشين وكل من لديه استعداد لاحتراف

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام النووي، ١١/ ٨٦.

(٢) صحيح مسلم، ٣/ ١٢٥٥، كِتَاب الْوَصِيَّةِ، بَاب ما يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ من الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، رقم ١٦٣١.

التسول، لأسهم بشكل كبير في القضاء علي هذه الظاهرة، حسبة لله تعالي وابتغاء مرضاته والفوز بجناته..

ب- الهبات

الهبة أمر شرعه الله تعالي توثيقاً لأواصر المحبة بين المسلمين وتآلف قلوبهم، وحصول الأجر والثواب لفاعلها، روي الإمام البخاري في صحيحه من حديث عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قالت "كان رسول اللَّهِ (ﷺ) يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عليها"(١)، ثم يحث الإسلام علي تعهد الأقرب فالأقرب جيرة توثيقاً لعري الأخوة والمحبة، روي الإمام البخاري في صحيحه من حديث عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قلت "يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لي جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي قال إلى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا"(٢)، وبذلك فان الهبة تعد رافداً من روافد التكافل الاجتماعي التطوعية، وغيرها كثير من وجوه الخير والبر كالعارية، والعقيقة والأضحية...كلها تسهم في مكافحة التسول بشكل عملي إذا أحسن المسلم توجيه الإنفاق إلي مستحقيه.

(١) صحيح البخاري، ٢/ ٩١٣، كِتَاب الْهِبَةِ وَفَضْلِهَا، بَاب الْمُكَافَأَةِ في الْهِبَةِ، رقم ٢٤٤٥.

(٢) صحيح البخاري، ٢/ ٧٨٨، كِتَاب الشُّفْعَةِ، بَاب أَيُّ الْجِوَارِ أَقْرَبُ، رقم ٢١٤٠.

النقطة الثالثة: تفعيل الدور الإيجابي للمؤسسات الخيرية

تقوم هذه المؤسسات الخيرية بمثابة الوسيط بين الغني والفقير، بين محبي الخير والفاعلين له وبين أصحاب الأعذار والحاجات والمعوزين والفقراء، وهذه الجمعيات يقوم عليها أناس من محبي العمل التطوعي، يجدون في ذلك لذتهم وسعادتهم في بذل المعروف و إيصاله إلي من يستحقونه، وفوق ذلك يحسون بتفاعلهم مع قضايا المجتمع، يقدمون ما يقدرون عليه في سبيل حل مشكلاته، متحملين في سبيل ذلك المشقة، لا يريدون جزاء ولا شكوراً.. معني ذلك أن يكون الإنسان إيجابيا بأن يصير قوة فاعلة في مجتمعه، وعنصراً نشطاً في أمته من أجل رفعتها وبناء نهضتها، فهو صاحب همة عالية وجدية بنّاءة لا تؤثر فيه الخطوب، ولا يثنيه عن هدفه يأس أو قنوط، وهو لغيره ملاذ أمن وعون يجد فيه المستنصح النصح الأمين، ويجد عنده صاحب الحاجة قضاء لحاجته... وهو فوق ذلك مكثر من الطاعات، مسارع في فعل الخيرات، مغتنماً لوقته غير لاهٍ أو مضيع...هذه هي الإيجابية التي تمثل صفة أصيلة ومكوناً من مكونات الشخصية العربية لاسيما الشخصية الإسلامية، فقد جبلت الشخصية العربية علي جملة من الصفات التي لا توجد في غيرها من الأجناس، تحمل صوراً إيجابية من النجدة والمروءة والبذل والتضحية...إلخ، ولقد جاء الإسلام داعياً إلي هذه الصفات الإيجابية وأكدتها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فيقيمها القرآن الكريم علي أساس الأخوة التي تقتضي النجدة والنصرة والتعاون وإعانة المحتاج و إغاثة الملهوف... فقال تعالي: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(١) و أكدتها السنة المطهرة في كثير من النصوص والمواقف التي ربّي عليها النبي الكريم (ﷺ) أصحابه، مؤكداً أن إيجابية الفرد تنطلق من كونه عضواً في جسد إذا اشتكي منه

(١) سورة الحجرات، جزء من الآية: ١٠.

عضو تداعي له سائر الأعضاء بالسهر والحمى... ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أبلغ النماذج الإيجابية، روي الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ قال قال رسول اللَّهِ (ﷺ) :من أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا قال أبو بَكْرٍ (رضي الله عنه) أنا قال فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً قال أبو بَكْرٍ (رضي الله عنه) أنا قال فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا قال أبو بَكْرٍ (رضي الله عنه) أنا قال فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا قال أبو بَكْرٍ (رضي الله عنه) أنا فقال رسول اللَّهِ (ﷺ) ما اجْتَمَعْنَ في أمرىء إلا دخل الْجَنَّةَ"(١) فإيجابية سيدنا أبي بكر تتجلي من عدة نواحٍ، أهمها: المسارعة في فعل الطاعات، والمبادرة في الوفاء بحق إخوانه و إعانة الضعفاء منهم،

لكن أكثر ما ينبغي أن توجه إليه أنظار القائمين علي المؤسسات الخيرية: هو تفعيل الدور الإيجابي لتلك المؤسسات، من مساعدة المحتاجين وإغاثة الملهوفين، وتفريج كرب المكروبين...إلخ وتفعيل ذلك الدور ينبغي أن يرتكز علي عدة محاور؛

الأول: تعهد الأزمنة المناسبة، من حيث التعرض لمواسم الخير، والمناسبات الدينية التي يكثر فيها عطاء المنفقين و صدقات المتصدقين،

الثاني: التعرض للأماكن التي تعاني فقراً شديداً، دون غيرها و إعطائها أولوية في الاهتمام والرعاية.

الثالث: العمل بصورة جدية علي إدخال فئة من المحتاجين الأصحاء الذين اعتادوا سؤال الناس إلي مجال العمل بالإتفاق معهم علي مشروع ربحي صغير يعود بالنفع علي المحتاج وعلي المؤسسة كمورد للتنمية، والاستفادة من طاقاتهم ومواهبهم وإن كانت محدودة، و أن تتوافر لهم فرصة عمل شريف بعيداً عن التسول ومساوئه... ولهذا أصل في السنة النبوية المطهرة، روي أبو داود في سننه

(١) صحيح مسلم، ٢ / ٧١٣، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَاب من جَمَعَ الصَّدَقَةَ وَأَعْمَالَ الْبِرِّ، رقم ١٠٢٨.

من حديث أَنَسِ بن مَالِكٍ "أَنَّ رَجُلًا من الْأَنْصَارِ أتى النبي (ﷺ) يَسْأَلُهُ فقال أَمَا في بَيْتِكَ شَيْءٌ قال بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فيه من الْمَاءِ قال ائْتِنِي بِهِمَا فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رسول اللَّهِ (ﷺ) بيده وقال من يَشْتَرِي هَذَيْنِ قال رَجُلٌ أنا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ قال من يَزِيدُ على دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ أو ثَلَاثًا قال رَجُلٌ أنا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وقال اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إلى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فيه رسول اللَّهِ (ﷺ) عُودًا بيده ثُمَّ قال له اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ ولا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وقد أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا فقال رسول اللَّهِ (ﷺ) هذا خَيْرٌ لك من أَنْ تجيء الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً في وَجْهِكَ يوم الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إلا لِثَلَاثَةٍ لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أو لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ أو لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ"(١) ففي الحديث الشريف طريقة عملية ذات خطوات واضحة للقضاء علي احتراف التسول، وإعادة تأهيل المتسول والعدول به عن اعتياد المسألة إلي طريق الكسب الطيب والأكل من عمل اليد.

الرابع: محاولة الوصول إلي درجة الاكتفاء الذاتي، بادخار جزء من الأموال، و استثمارها في إنشاء مشروعات تدر عائداً مستمراً للجمعية، فيمتد عطاؤها وتتسع أنشطتها...

والمؤسسات الخيرية كغيرها من مؤسسات مدنية تسهم في حل مشكلة التسول علي نحو ما، من خلال تعرضها لمساعدة أصحاب الأعذار والحاجات..

الأصناف التي تشملهم رعاية المؤسسات الخيرية:

١ – كفالة اليتيم

---

(١) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ)، ٢/ ١٢٠، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

كلمة اليتيم يدور معناها حول الانفراد والضعف والحاجة ونظراً لما تسببه هذه الأمور من آثار نفسية في شخصية اليتيم والتي تجعله يشعر أحياناً بالنقص والضعف والمسكنة نتيجة التجارب والخبرات المؤلمة التي يمكن أن يمر بها الطفل نتيجة الحرمان الوالدي، وهذا بدوره يؤدي إلي إحداث نوع من عدم التوافق النفسي، فإن الطفل شديد التأثر بهذه الخبرات وتمثل بالنسبة لديه هزة عاطفة لها أثرها في صحته النفسية، ومن ثمّ يصبح من أكثر العناصر المعرضة لاحتراف التسول، إذا لم يجد رعاية واهتماماً يقيه هذا الطريق لأجل ذلك عظّم الإسلام حقه، بالإحسان إليه ومعاملته بتلطف ورفق، إذ يقول الله تعالي: "**فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**" (١)، بكلمة تؤذيه، أو نظرة تحقره، أو بإتلاف ماله، أو بشيئ يسبب له شعوراً بالنقص والدونية، ولا شك أن هذه الأفعال من اليسير أن تجعل منه إنساناً غير سوي وغير نافع في مجتمعه الذي يعيش فيه. ولا يخفي كم سيكون أجر كافله عند الله تعالي، وكم تكون سعادته إذا أصبح هذا اليتيم قائداً أو مصلحاً اجتماعياً أو عالماً فذاً أو كاتبا بارعاً أو....إلخ

ليس تفضلاً أن ينال اليتيم الرعاية المادية والمعنوية، فلم تبن تلك الرعاية في الإسلام علي الإحساس الوقتي نحوه بالعطف والشفقة لا يلبث أن يزول، بل تقوم تلك الرعاية والعناية والاهتمام من منطلق التوجيه الإلهي والهدي النبوي في وجوبها وتحقيقها،

حيث إن اليتيم لا يستطيع إدراك حاجاته وقضائها إلا بمعونة إخوانه في المجتمع، واليتامى فئة تحتاج ليس فقط إلي مساعدات مادية بل يحتاجون بالأحرى إلي عطف واهتمام وحنو...ينسيهم بعضاً من ألم اليتم حتى يبلغ اليتيم مبلغ الرجال قوة وحكمة ومعرفة.. بل ومن محاسن تعاليم الإسلام أنه يرغب في

(١) سورة: الضحي: ٩

الوفاء بهذا الحق بربطه بعظيم الأجر في الدنيا والآخرة، فمن أراد أن تدرك حاجته في الدنيا، ويلين قلبه، وتسكنه الرأفة والرحمة فليمسح علي رأس يتيم، ، ففي مسند الإمام أحمد بن حنبل من رواية أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلاً شكى إلى النبي (ﷺ) قَسْوَةَ قَلْبِهِ فقال امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ"(١) ومن أراد مرافقة الرسول الكريم (ﷺ) في الجنة، فليكفل يتيما يحقق له ذلك، روي الإمام البخاري في صحيحه من حديث سَهْلٍ قال: قال رسول اللَّهِ (ﷺ) "أنا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ في الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شيئا"(٢).

ثم انظر إلي صفة من صفات الأبرار الذين أعد الله تعالي لهم في الآخرة نعيماً لايقدر علي وصفه إنسان فكان من صفاتهم و أحوالهم في الدنيا أنهم يطعمون الطعام علي حبه لمن ؟ للمسكين واليتيم والأسير، إذ يقول الله تعالي: "**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**"(٣)، فقد وصف الله تعالي هؤلاء الأبرار أنهم يطعمون الطعام مع حاجتهم إليه وحبهم له للمسكين واليتيم والأسير، وهؤلاء الثلاثة يشتركون في الضعف والعجز عن الكسب...ويلحق بهؤلاء اللقيط الذي لا يعرف له أب أو أم فبدلاً من أن يترك في الشوارع تتلقفه أيدي محترفي التسول، واستغلال طفولته في تلك الجريمة، تعمل مثل تلك المؤسسات علي رعايته، ونجاة نفس من الهلاك ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً، وأكثر المتسولين من هذه الفئة التي لم تلق أية رعاية أو عناية من الدولة أو المؤسسات الرسمية أو تلك التي دائماً تنادي بحقوق الإنسان أو المجالس القومية لرعاية الطفل...وهم أخطر علي المجتمع من أي فئة فمنهم يخرج المتسولون والمدمنون والشواذ وعتاة الإجرام

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٢/ ٣٨٧، رقم ٩٠٠٦ .

(٢) صحيح البخاري، ٥/ ٢٠٣٢، كِتَاب الطَّلَاقِ، بَاب اللِّعَانِ، ٤٩٩٧.

(٣) سورة الإنسان: ٨.

والبلطجة...إلخ وهؤلاء لهم حقوق كأي فئة في المجتمع واحتضانهم ورعايتهم وتربيتهم وتعليمهم مكسب للجميع.

٢- رعاية أصحاب الكوارث والبلايا

قد يقع أحد هؤلاء إن أصابته جائحة لا قبل له بها، ولا قدرة له علي تحملها أو التكيف معها إلي احتراف التسول، ولذلك فإن تلك المؤسسات الخيرية تقف بجانبه حين ترصد لمثل هذه الحالات مبلغاً مالياً كل بحسبه، يعينه علي تخطي الأزمة واستئناف حياة كريمة يغني الإنسان نفسه عن ذل السؤال، ولهذا المنهج مرجعية دينية، حين دعا الإسلام إلي مساعدة أصحاب الأعذار، انطلاقاً من الأخوة الإيماني التي تربط المسلمين جميعاً وهي أوثق رباط، مبيناً أنه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن يسر علي معسر يسر الله عليه، روي الإمام البخاري في صحيحه من حديث عَبْدَ اللَّهِ بن عُمَرَ (رضي الله عنهما) أخبره أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قال "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كان في حَاجَةِ أَخِيهِ كان الله في حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ الله عنه كُرْبَةً من كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يوم الْقِيَامَةِ"(١)، يقول الإمام النووي: (في هذا فضل إعانة المسلم وتفريج الكرب عنه وستر زلاته ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته)(٢)

٣- رعاية الأرامل والمطلقات

(١) صحيح البخاري، ٢/ ٨٦٢، كِتَاب المظالم، بَاب لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ ولا يُسْلِمُهُ، رقم ٢٣١٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام النووي، ١٦/ ١٣٥.

قد تتعرض احدي الأرامل والمطلقات لحاجة تضطرها إلي سؤال الناس، ولا تجد غير هذا الطريق فسلك سبيل التسول لتنفق علي نفسها و أولادها، فتتسرب هذه العادة المخزية إلا أولادها فتخرج أجيالا متسولين...ولذلك يعد من أهم أنشطة المؤسسات الخيرية إعانة هذه الفئة من المجتمع، بتعيين راتب شهري يصل لأيدي أولئك النسوة، يغنيهم ذل السؤال ويكفيهم مؤنة النفقة علي أولادهن، ولكي يكون حل هذه المشكلة جذرياً يجب أن تتجه جهود القائمين علي هذه المؤسسات بتعليمهن مهنة تتناسب مع طبيعة تكوينهن وملكاتهن، فينفعن وينتفعن،

٤- رعاية العجزة و أصحاب الأعذار

وهؤلاء يمثلون أكبر نسبة من المتسولين، وكثير منهم أصحاب أمراض مزمنة يصعب شفاؤها أقعدتهم عن العمل، فمنهم العميان، والمعتوهون، والعاجزون بسبب ضعفهم الجسماني، أو شلل في أطرافهم...إلخ، فهؤلاء لهم من الحقوق والرعاية ما أوجبه الإسلام تحقيقاً للأخوة الإيمانية...بتوفير طعامهم وكسائهم، ودوائهم...

وبذلك فإنه من الضروري تفعيل الدور الإيجابي للمؤسسات الخيرية.. فلنتخيل كمّ الأسر التي تأخذ راتباً شهرياً يغنيهم عن ذلّ السؤال...، وكمّ اليتامى المستفدين من أموال هذه الجمعيات تعليماً وغذاءً وكساءً...، وكمّ المرضي الذين يستفيدون منها في تخفيف آلامهم وتقليل معاناتهم... و أصحاب الكوارث والبلايا الذين يجدون في هذه الجمعيات ملاذاً لتقليل الإحساس بهول مصيبتهم بما يجدونه من بعض العوض عما فقدوه...ولو لم يحدث ذلك فلننتظر طابوراً جديداً من المتسولين علي وشك الظهور...!!!

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين..حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً (ﷺ) عبد الله ورسوله، شهادة عليها نحيا وعليها نموت وعليها وبها نلقي الله تعالي، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلي آله وصحبه أجمين والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين..آمين

ثم أما بعد

فقد وفقني ربي إلي إتمام هذا البحث المتواضع: "مكافحة الإسلام لظاهرة التسول"، وقد كان من أبرز نتائجه، ما بدا لي من بيان أبرز دوافع التسول وبواعثه ليس في القطر المصري فحسب، بل في كل مجتمع يرزخ تحت نير الفقر والبطالة والأمية والتفكك الأسري، بيد أننا نلمسها بوضوح في مجتمعنا لأننا نحيا هذا الواقع المؤلم الذي زادت حدته هذه الآيام بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية...ثم كان من أبرز نتائجه أيضاً التعرض لكثير من السمات الشخصية للمتسولين، وكذا أساليبهم المتنوعة في احتراف التسول، وكان أيضاً من أبرز النتائج: معرفة المنهج الإسلامي في مكافحة التسول، وكيف كان الإسلام سبّاقاً في التعرض لتلك الظواهر الاجتماعية، مبيناً للناس طرقاً عملية لمواجهتها والقضاء عليها، وكيف كان منهج حياة، أرشد الناس إلي ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة..في الوقت الذي فشلت فيه الجهود البشرية في القضاء عليها بعيداً عن هدي الإسلام والعمل بتعاليمه..

ثم بدا للباحث بعض توصيات يمكن إجمالها فيما يلي:

- تطبيق تعاليم الإسلام في القضاء علي روافد التسول بطريقة عملية تناسب واقع المجتمع.
- ضرورة الاهتمام بهذه الفئة والعمل علي دمجها مجتمعياً عن طريق تأهليهم نفساً وتربوياً.
- محاولة الاستفادة من طاقات الأصحاء منهم واستغلال قدراتهم ومواهبهم في عمل نافع فينتفعون وينفعون.
- نشر الوعي بتحري من يستحقون للزكاة و الصدقات، وضرورة التعاون البنّاء مع القائمين علي المؤسسات الخيرية بعمل حصر للمتسولين في القرى والأحياء ورصد راتب شهري لغير القادرين منهم يغنيهم عن ذلّ السؤال.

- ضرورة الاهتمام بالنشء والعمل علي توافر الجو المناسب لهم تربية وتعليماً، حتى لا يقعوا فريسة للتسول المنظم.

وأخيراً أسأل الله تعالي أن يرزقنا الإخلاص في الأعمال كلها.. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ط / ١٩٧٩م، دار الفكر.

٢- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفي، و آخرون، تحقيق : مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت.

٤- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥- مع الله، الشيخ محمد الغزالي، ط١ / ١٩٨٩م، دار القلم – دمشق – بيروت.

٦- الدعوة الإسلامية – أصولها ووسائلها – د / أحمد أحمد غلوش، ط٢ / ١٩٨٧م، دار الكتاب المصرى – القاهرة.

٧- معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، تاريخ الطبع ١٩٩٩م، دار الجيل – بيروت.

٨- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، ٢٠٠١ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.

١٠- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق د مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال.

١١- اقتصاد الفقر.. بؤس و أزمات، د زيد بن محمد الرماني، ط١ / ٢٠٠٣ م، مكتبة الرشد – السعودية.

١٢- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر – لبنان.

١٣- دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية، د يوسف القرضاوي، ط١/ ٢٠٠١ م، دار الشروق – مصر.

١٤- الدور التربوي للأسرة المسلمة في غرس الأمانة لدي أولادها، جيهان بنت محمد بن جمال مجلد، جامعة أم القرى – السعودية عام ١٤٢٥ هـ.

١٥- منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، أنس أحمد كرزون، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٩٥م.

١٦- الحرمان من الأسرة و أثره علي التحصيل الدراسي والتكيف الشخصي والاجتماعي، حسين محمد خلف المصري.

١٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت.

١٨- ذيل جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت.

١٩- رعاية و تأهيل المعاقين سمعياً في ضوء التربية الإسلامية، عبدالله بي فصيل الرحيلي، جامعة أم القرى، عام ١٤٢٤هـ.

٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ)، ط / ١٤٠١ هـ، دار الفكر، بيروت. جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين.

٢٢- جغرافية تسول النساء والأطفال بمدينة مكة المكرمة، فاطمة موسي مطاعن، جامعة أم القرى، السعودية ١٤٢٨هـ.

٢٣- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابورى (ت٤٠٥ هـ)، تحقيق مصطفي عبد القادر عطا، ١٩٩٠م – بيروت.

٢٤- التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي، بيروت، بدون رقم وتاريخ الطبع.

٢٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام الشوكاني.

٢٦- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق طارق عوض الله، ١٤١٥ هـ، دار الحرمين – القاهرة.

٢٧- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٨- شرح السيوطي لسنن النسائي، السيوطي، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، ١٩٨٦م، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.

٢٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٠- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٣٢- صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي(ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ٥ / ٣٤، تاريخ النشر ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٤- التكافل الاجتماعي والقرآن الكريم، أنس جميل طبارة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية ١٩٧٧م.

٣٥- التكافل الاجتماعي في ضوء التربية الإسلامية، سلطان بن عوض الجعيد، جامعة أم القرى، ١٤٣٠ هـ.

٣٦- أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر – لبنان.

٣٧- دور الزكاة في التنمية الاقتصادية، ختام عارف عماوي، جامعة النجاح الوطنية – فلسطين، عام ٢٠١٠ م.

٣٨- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري.

٣٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي. تاريخ النشر ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
تمهيد	٧
المبحث الأول: بواعث ظاهرة التسول	١٤
أولاً: الفقر	١٤
ثانياً: البطالة	١٦
ثالثاً: التفكك الأسري	١٨
رابعاً: الأمية	٢٠
المبحث الثاني: سمات وأساليب المتسولين	٢٢
أولاً: السمات الشخصية للمتسولين	٢٢
ثانياً: أساليب المتسولين	٢٥
المبحث الثالث: الإسلام وتجفيف منابع التسول	٣٦
– بث الوعي بالقيمة الحقيقية للمال	٣٦
– بيان حقارة الدنيا وقيمة التنافس المشروع	٣٨
– تربية المسلم علي عزة النفس	٣٩
– تعزيز الشعور بالقناعة والعفة	٤١
– الترهيب من سؤال الناس بغير حاجة	٤٣

المبحث الرابع: طرق عملية لمكافحة التسول	٤٨
النقطة الأولي: تشجيع هذه الفئة علي العمل والإنتاج	٤٨
النقطة الثانية: التكافل الاجتماعي وأثره في الحد من هذه الظاهرة	٥٠
النقطة الثالثة: تفعيل الدور الإيجابي للمؤسسات الخيرية	٦٢
خاتمة	٧٠
المصادر والمراجع	٧٢
فهرس الموضوعات	٧٧